العرفان

الرئاسة والامارة

نظرت في أدواء هذه الأمة ، وما احاط بها من المصائب المدلهمة ، فلم أر داء ألصق بها ، ولا مصيبة أعلق بها ، من داء الرئاسة ومصيبة الإمارة وحب الرئاسة متأصل في النفوس مركوز في الطبائع لا يسلم منه أحد لكن بعض الشر أهون من بعض فكم وكم رأينا اميركيا اعتلى منصة رئاسة الجمهورية ولم يستنكف بعد سقوطه عنها أن يكون محرر جريدة وكم شاهدنا اوربيا نال الوزارة وبعد ذلك امتهن المهن البسيطه ولم يزدد حال الوظيفة عجرفة ، ولم يته كبرا ويصعر خدا ، بيد أنا رأينا المسلمين عامة والعرب خاصة أكثر ولوعا بالرئاسة وأشد تعلقا بالإمارة من غيرهم وهذا من غريب أمر العرب فإنهم ابعد الناس عن تأدية مراسم التعظيم والخضوع للرؤساء والأمراء لأن الأمة العربية غلب عليها في بدء امرها عيش البداوة ولازمها مدة طويلة والبدوي يألف الحرية والحياة المطلقة نعم كان للعرب دولات ودويلات في العراق واليمن والشام لكن لم تبلغ درجة دولات زمنهم الضخمة ولم يؤلف شملهم ويجمع كلمتهم ويوحد غايتهم إلا الإسلام وما خرجوا من تلك العيشة البدوية الجافية إلى الحياة الحضرية اللينة إلا وبدأت المنافسة بينهم على الرئاسة والإمارة فلم يسلموا من

شرهما في زمن نبيهم ولا في عهد خلفائه الراشدين لكن النفوس كانت آنئذ طيبة والأخلاق عالية والدين متينا ومع ذلك فكنت ترى الطامعين كثيرين والراغبين في هذا الأمر يزدادون يوما فيوما

صمد للإمارة رجل بلغ من الدهاء والسياسة والمكر والخديعة مالم يبلغه بشر قبله ولا بعده فبذل في سبيلها أموال الأمة وفضائلها فنالها، وشرب من صفوها وزلالها، وعهد بها إلى ابنه من بعده لكنه طعن الدين في صميم احشائه ورمى الوحدة في سويداء قلبها وتلقفوها من بعده وبعد ابنه رجلا رجلا نعم كان لهم الفضل الكبير على الامة العربية بما احدثوه من العمران إلى أن قضى الله بإدالة تلك الدولة حيث انتقلت الإمارة إلى بني العباس فكثر التكالب على الإمارة ولئن كان لهم الفضل الاكبر في تعريب العلوم والفنون وتنازل مأمونهم عنها للإمام العلوي والعلويون أحق بها منهم فقد أصبحت فوضى لما طال عمرهم وفسد امرهم وكانوا اسما بلا مسمى حيث تفرعت الدول والإمارت واصبحوا كما قال الشاعر

فتفرقوا شيعا فكل قبيلة فيها امير المؤمنين ومنبر

وهكذا استمرت الإمارة والرئاسة أو الملك والخلافة مثال نزاع وخصام وتحاسد وتباغض فقد كان يقتل الأخ أخاه وقد يقتل الولد أباه والأب ابنه في هذا السبيل الوبيل . انطوت صحيفة العرب من سجل الإمارة فجاءت نوبة الأتراك وكان ما كان لكنه بقي للعرب إمارات أو دويلات لم تتلكأ في وقت من الاوقات عن اكتساح بعضها بعضا وما عهدنا بها ببعيد

دالت دولة الترك من بلاد العرب بعد الحرب العامة فسقطت عروش وممالك، وتجددت تيجان وارائك، كانت نقمها اكثر من نعمها وتنافس القوم أي منافسة على تلك الممالك الشاسعة، والاملاك الواسعة، وهي لعمري لم تكن إلا كما قال الشاعر

لو جمعت لم تك اقطارنا دويلة فكيف صارت دول

لكن القوم وهم حديثو عهد ، بالتاج والعلم والبند ، سبحوا في بحر واسع من الغرور ، وثملوا من نشوة الفرح والسرور ، فاسترسلوا في الغواية ، والتبست عليهم النتيجة والغاية ، وطربوا الصوت ذاك المزمار ، ولو قصرت نجائبهم في حلبة المضمار ،

يكفي بأن أصبح مزمارنا ينشد أن العربي استقل

فتنازعوا الرئاسة ، وجالوا في حومة السياسية ، فعثر قوم وعلا آخرون وكلهم لو نظروا بعين البصيرة عاثرون وجلهم آلات صماء في يد فرنسي أو انكليزي أو هندي او اميركي وما قادهم إلى تلك الهوة التي لا ماء فيها ولا خمر إلا حب الإمارة ولو على الحجارة

يتهلل جل العالم الإسلامي فرحا ومعهم بعض العرب لأن ابن السعود غزا الحجاز وامتلكها واخرج الهاشميين منها ولا سرورهم حين افتتح عمر بلاد الروم وطارق الاندلس وحين ازاح صلاح الدين الصليبيين عن بلاد المسلمين وهل بنو هاشم إلا من صميم العرب والمسلمين أليس هم اهل الخلافة والإمارة لا تصلح إلا لهم ولا يصلحون إلا لها لكن تلك شنشنة وعداوة قديمة انطوت عليها جوانح اقوام لأهل البيت الطاهر

أي جناية جناها الحسين بن علي واولاده حتى يكونوا محل شماتة المسلمين اليوم وحتى يقصوا عن بلادهم وهم أهلها وامراؤها منذ بدء الإسلام بل قبل الإسلام إلى يوم الناس هذا وما هي اليد التي اسداها ابن سعود للمسلمين والعرب حتى يكون احق بهم من بلادهم وما هي المظالم التي صنعوها وعلى فرض حصول بعضها هل خلا خصومهم من مثلها بل من اضعاف اضعافها ومتى منع الحج الملك حسين وهو الذي لقي الحجاج في ايامه من الرفاه والعدل مالم يروا مثله ولا اقل منه في زمن اسلافه

نحن لسنا من المعجبين بكل صفات الحسين ولا من الذين يحرقون أمامه البخور فقد تكلمنا معه بكلام لم يجرأ غيرنا على مصارحته به كما قال لنا الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية الحجاز لكن الحق أحق أن يتبع ويعز علينا أن تداس الحقيقة بالأرجل من اناس مستأجرين ولا يلفى لها ناصر ولا معين إلا النادر الذي ضاع صوته الضعيف أمام تلك الاصوات الصاخبة ولا غرو إذا وقف قلمه على الافتراء عليه وذمه من يتقاضى من خصمه الفي جنيه كل عام فيا للفضيحة ويا للعار في هذه الدار ويوم القرار

لئن عابوا حسينا فماذا يعيبون ابنه عليا وهو البالغ من سمو الاخلاق مبلغا لا ينازعه فيه منازع ولا يكاد يضارعه مضارع

أليس حب الرئاسة هو الذي جنى على هذه الأمة الكريمة تلك الجنايات وادى بها الى هذه العواقب الوخيمة ألم تر بأم العين ان كل عمل جليل اوحقير يتنافس فيه على الرئاسة المتنافسون من مختار قرية الى رئاسة جمعية ولو خيرية إلى رئاسة مجلس أليس على كل هذه تنافس وتناجش يؤدي غالبا الى نهش الاعراض، وظهور المصالح والأغراض، الم تر من يتطلبون الزعامة ثم يسعدهم الحظ السعيد او الأسعد أن ينالوها كيف يختالون اختيال الجبابرة، ويحتقرون غيرهم حتى من يعد نفسه نداً لهم كأنهم بعض الأكاسرة والقياصرة، وهم يرون كيف تهوي العروش وتتساقط التيجان

فإذا ارادت هذه الأمة المسكينة المستكينة أن يشعل نبراسها، ويرفع راسها، فلتحرص كل الحرص على مداواة ادوائها ولا يكون ذلك الا باستئصال هذه الجرثومة جرثومة حب الرئاسة والإمارة فقد كفانا مالاقينا منها ومن بلائها في الغابر والحاضر وعلى من نثيرها شعواء ونوقظها فتنة جاهلية وسنة اموية، فأين ياقوم إذا الطريقة الإسلامية والسنة المحمدية، وانتم ايها الذين يعدون الإسلام وقفا عليهم ويخرجون غيرهم من حظيرته ارونا اعمالكم لنؤمن بها ارونا فتوحاتكم لنسجلها (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وهل هناك شبه اوبعض الشبه بين مآثركم ومآثر المسلمين الأولين والعرب الفاتحين

يا امة بلغت في المجد غايتها ... وقصر الناس عنها ان تجاريها
قوموا الغداة انظروا هذي مآثركم ... هل في مآثرهم شيء يضاهيها

على نبع المأذنة

صرفنا فرصة عيد الاضحى في قرية (جبع) وهي على مسافة أربع ساعات من صيداء ركوبا على الدواب لأنه ليس لها طريق معبدة إلى الآن مع انها من اجمل المتنزهات والراكب يمر على قرى آهلة ومياه متدفقة بيد أن الطريق صعبة المسالك كما قيل فيها

جبع جنة على الأرض تزهو بعيون انهارها جاريات
غير أن الطريق منها صراط فيه هول العقاب والعقبات

وجبع مركز ناحية باسمها يبلغ عدد نفوسها زهاء الفي نفس وهي ذات ينابيع باردة عذبة وبساتين وكروم حسنة تعلو عن سطح البحر زهاء ثمانمائة متر لكن ليس مايستهوي المصطافين ويحببهم بها وقد انشئت هذه السنة قهوة على نبع القبي كانت فاتحة عهد جديد

وبعد ما ازمعنا المسير حضر صديقنا اديب افندي التقي البغدادي ومعه بعض الشاميين فاستأنفنا المكث بها بعض ايام كانت من ايام الصفاء القصيرة الاعمار ثم فارقنا بعض الاخوان من جبع وصحبنا بعضهم إلى كفر رمان حيث مررنا على نهر الزهراني وشاهدنا بأم العين ذاك السد المنيع والعمل العظيم الذي قام به يوسف بك الزين لإسالة مياه الزهراني إلى النبطية وما اليها وقد تمَّ هذا العمل ولله الحمد وسجل لصاحبه ذكرا مجيدا

وحينما كنا في كفر رمان قضينا يوما جميلا على نبع المأذنة وهو نبع عذب بارد زرعت حواليه الخضرة وغرست الاشجار فأصبح المكان وهو في منخفض من الأرض كأنه بساط من سندس وقد تساجلنا الشعر هناك نحن والشيخ احمد رضا واديب افندي التقي فكانت هذه القصيدة التي نزفها الى القراء الكرام عذراء حسناء

يا مجلساً زانه النسرين والآس رقّ النسيم به إذ رقت الكاس
عمّ السرور وبات الدهر مقتبلا كأنما قد أقيمت فيه اعراس
في عصبة لم تزل غراً مآثرهم وجوههم في ظلام الليل نبراس
اخوان صدق لهم في الفضل سابقة قوم هم الناس إذما يذكر الناس

* * *

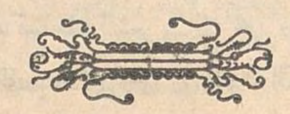
لله مجلسنا في نبع مأذنة ففيه قد عقدت للأنس اقواس
ينسى بنو الشام فيه حسن غوطتها إن شاقهم في ربوع الشام إيناس
في روضة من رياض الأنس حالية طابت بها للنسيم الغض انفاس
فالطير فيها على افنانها غرد والغصن من طرب في الروض مياس
والزهر يحكي نجوم الافق تحسبه تاجا بمفرق خود زانه الماس
آخى به الفضل بين الصحب فامتزجوا كذاك تمزج اشكال واجناس
كم فيه للشعر قد دارت معتقة وكم اجيلت به للهو افراس
وفيه خفّت حلوم فانتشت طربا ووطدت فيه للإيناس آساس

* * *

كأنما يوسف ابدى محاسنه فيه فلله كم تاهت بها الناس
لله كم عمل احيا به املا قد كاد يصرعه في مهده الياس

* * *

إذا الفتى لم يكن حرا بموطنه فإنما هذه الروضات ارماس
اهوى بلادي لا أبغي بها بدلا وإن ابى ذاك أوغاد وارجاس
اراك سورية كالجسم ماثلة وجلق هي منك العين والراس



الأخلاق العامة وتطور الأمم

٣

تكلمت في الاجتماع الماضي عن ماهية الاخلاق العامة وخصائصها ومميزاتها وعن علاقتها باحوال الأمم وعن المظاهر التى تتجلى بها واهمها الدين والوطنية والقومية وقد وصفت الخلق الديني وما كان له من التأثير العظيم في تأليف الأمم وتطورها ثم تكلمت عن الخلق الوطني ومما قلته فيه إنه لا يمكن ان يكون عاملا فى تاليف الامم الا إذا كان عاما شاملا لجميع اجزائها وقائما على اسس الحرية والعدالة والرقي وقد اختتمت مقالي بأن الامة المتجزئة المغلوبة على امرها لاتحيا ولاترقي الا إذا تخلقت بخلق عام يدين به جميع ابنائها وهذا الخلق هو القومية التي سابحث عنها الآن فاقول:

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم. حكمة اجتماعية وحقيقة علمية آمن بها السلف، واختلف في حكمها الخلف، فتفرقوا شيعا وذهبوا في امرها مذاهب شتى. فمن مؤمن بخاصية الأصل الانساني ووحدة جنسه. ومن معتقد بوحدة الأصل ونشوء الجنس وتطوره ومن قائل بتعدد الأصل والجنس معاً. ولكل من ائمة هذه المذاهب العلمية ادلة على تأييد دعواه وبراهين اقرها علم الأمس واخذ ينقض دعائمها علم اليوم وذلك لأنها لم تتقيد بقيوده، ولما تقف في دائرة حدوده. ولعمري إن في تعدد المذاهب العلمية واختلافها دليلا على غموض الحقيقة وضياعها. فالعلم الطبيعي لم يهتد بعد إلى مصدر الحياة. ومعرفة اصل الأجسام الحية وادراك كنه تلك النفس التي خلق الناس منها، وصدروا عنها، كما ان التاريخ وعلم الآثار لم يتوصلا إلى تعليل

تطور البشر ونشئه تعليلا علميا يتفق مع الطبيعة وعلم النفس . وآخر كلمة فاه بها علم القرن العشرين على لسان اجل اعلامه الاستاذ ڤيالتون في كتابه « اطراف ونطق ذوات الفقرات الرباعية الارجل » الذي نقد فيه مذهب النشوء والتطور نقدا علميا اماط الغطاء عن وهن الأسس التي ارتكز اليها وخطأ الادلة التي قام بها . واهمها ناشئ عن عدم إدراكه أن استحالة الاجهزة إلى غير اشكالها بعد تكاملها مستحيل الوقوع لأنها تستلزم انتقال بعض الاقسام وتقطع اوصالها مما لا يلتئم مع الحياة . ومنها تصنيفه الاعضاء حسب مظاهرها الخارجية بصرف النظر عن ارتباطاتها الى غير ذلك من الخطيئات ذات الشأن في العالم العلمي . وتلك الكلمة هي قوله : « ان النشوء لم يحدث قط ولما يقع طبق النظريات الموضوعة . إن الأدلة الرشيمية والتشريحية المقامة على تأييد هذا المذهب ليس لها القيمة العلمية التي صبغت بها . وإنه من الواجب ان نعترف ونقر بأننا لا نعلم شيئا من اصل الحياة ومن مصدر الموجودات الحية . وإنه قد يسهل علينا هذا الاعتراف بجهلنا فيما إذا فكرنا اننا لانعلم ابضا من اصل الاجسام الجامدة شيئا وفي ذلكم بيان عن وهن الدعائم التي اقيم عليها بناء فكرة النشوء والتطور »

تلك كلمة العلم الأخيرة في هذا الموضوع ومنها يتضح لنا أن ماقيل فيه حتى اليوم ونسب الى العلم الصحيح المجرد عن الاهواء والأغراض لا يقره العلم . إنما هنالك نظريات تحتمل الخطأ والصواب لم يتوصل العلم بعد الى درجة الحكم فيها تنازعتها الاهواء وعضدتها المنافع الخاصة وروجت سوقها سياسة العصر الماضي والحاضر لملائمتها روح الامم المستعمرة وموافقتها مطامع الدول العظمى اهمها نظريات النشوء الفجائي الموضعي التي ايدها مكتب الاجتماع البريطاني الفرنسي ونظريات مذهب اختلاف

العناصر البشرية الذي نشرته المكاتب الجرمانية واجل ائمته الكونت دي غوبينو وجميعها يرمي إلى القول بتعدد الجنس الإنساني واختلاف اصوله وإلى أن الاقوام البشرية لم تنشأ من اصل واحد إنما لكل منها جوهر واصل خاص ونشوء تاريخي محدود بنسبة ذلك الجوهر وان الأمم مسيرة منها ما تؤهلها قابليتها الخاصة الى الرقي المتواصل ومنها ما تقضي عليها طبيعتها بالانحطاط الدائم وأن ذلك الرقي وهذا الانحطاط مقدران وواقعان حتما بعامل القوى الحيوية وان العنصر الآري اشرف العناصر البشرية وافضلها فهو الشعب المصطفى الذي لا نهاية لمعراج رقيه . حبته الطبيعة باكرم مواهبها فإليه تنتهي سيادة العالم وقيادة الأمم . وما الشعوب الباقية إلا انواع بشرية متفاوتة في المواهب إلا انها محدودة الرقي تقضي عليها طبائعها الخاصة بالخضوع الدائم لسلطان القوى المطلقة . وقد كان لانتشار هذه المذاهب في اوروبة سرعة البرق ولا عجب فإنها خير مؤيد لسياسة حكوماتها الاستعمارية واعظم مبرر لما ترتكبه في معاملة الشعوب الضعيفة المغلوبة على امرها من ضروب المظالم والقساوة .

وقد كاد سبات الشرق العميق يلبس هذه النظريات ثوب الحقيقة الراهنة لو لم تزلزل النهضة اليابانية دعائمها وتقوض الحرب العالمية الأخيرة مبانيها فأسفر الصبح لذي عينين وانكشف الغطاء عن فساد المبادئ التي قامت بها واخذت الابصار العامة تتراجع نحو نظرية النشوء التاريخية القائلة بوحدة الجنس البشري . وبأن الناس يمتون جميعاً إلى اصل واحد أو نفس واحدة وبأن مايشاهد بينهم من الفروق إن هي إلا صفات حديثة وبأن البشر لم يبعث وهلة في جميع انحاء البسيطة انما ظهر للمرة الأولى في بقعة من الأرض محدودة ومنها انتشر كالموج المتتابع في سائر انحاء الأرض

المختلفة الاقاليم والطبائع والعناصر . فاختلفت طباعه وتباينت اشكاله ولا غرو فالجسم المقيم في القطبين يخضع لنواميس وقوى فعالة طبيعية تختلف كل الاختلاف عن المؤثرات التي تعمل في الجسم القائم في خط الاستواء والعكس بالعكس . فكان الإنسان يتكيف في هجرته حسب الإقليم الذي يستقر فيه . فنشأ اختلاف العروق البشرية وكانت الاقوام الثابتة والفروق المشاهدة بين جميع الأمم التي حافظت على دمها وموطنها . وقد ايد هذا المذهب اكتشافات علم نشوء البشر الحديثة فإن اليوسميت Elliot smith في كتابه « تأثير المدنية المصرية القديمة في جزر الهند وامريكة » المطبوع عام الف وتسعمائة وستة عشر لم يرهب الإقدام على استقراء الحضارة المصرية في امريكة والجزر الهندية . وكذلك استقراآت علم اللغات ومقارنة الالسنة فإنها تؤيد نظرية الهجرة البشرية بكل جلاء . فقد اثبتت تتبعات فرانسز بوب عام الف وثمانمائة وستة وثلاثين فكرة تقارب اللغات الاوروبية من اللغات المقدسة الهندية التي المع اليها وليم جون والاخوان شليفل عام ١٧٨٦ . فاحدث هذا الاكتشاف دويا عظيما في العالم المتمدن وفسح مجالا للإعتقاد بأن اصل الشعوب الاوروبية يمت إلى الهند ومنها تقدم رويدا رويدا من الشرق إلى الغرب .

هكذا نشأت الشعوب في البدء حسب النظرية التاريخية . فهي واحدة في جوهرها متباينة في طباعها وامزجتها واشكالها تباين القوى الطبيعية المختلفة الدائمة المحيقة بها منذ الأزل . فهي صنيعة الإقليم ووليدة الوراثة .

ثم أن الهجرة والفتوحات والحروب العظيمة التي قام بها البشر منذ بدء التاريخ احدثت اختلاطا عظيما بين الشعوب المختلفة اللغات والطبائع والعروق فامتزج بعضها ببعض وتولد منها مع الزمن شعوب جديدة عظيمة

ذات صبغة جنسية واحدة هي الشعوب التاريخية. ولا يكاد يوجد اليوم في العالم شعب خاص خالص حافظ على نقاوة دمه منذ القدم اللهم إلا الشعب الياباني فإنه لم يتبين أنه اختلط بغير دمه حتى الآن. وما الأمم الاوروبية العظيمة التي نشاهدها تفاخر العالم بقومياتها الا أمم تاريخية ولدتها عوامل شتى ذات هدف واحد. فهي مزيج من عناصر مختلفة منها من ثبت اتحاده بكرور الأيام كالأمة الانكليزية ومنها ماهو في دور الاتحاد كالأمة الفرنسية ومنها ما هو في دور الاختلاط بعد كالايطالية.

ولم يكن اتحاد هذه العناصر ببعضها وتأليفها اياها ذات كيان واحد نتيجة الاتفاق او بسائق الطبيعة إنما كان بعامل قوى فعالة وحروب وضغط شديد. فاتحاد فرنسة الشمالية بفرنسة الجنوبية كان نتيجة مذابح واضطهاد وضغط وارهاب دامت مايقرب من قرن. وهذا ما حمل ارنست رينان على القول: «إن النسيان والخطأ التاريخي عاملان اساسيان في تكوين الأمة. وإن رقي الدروس التاريخية خطر على القومية لأن التتبعات والاستقراآت التاريخية تحيي ذكر الفظائع واعمال اليأس والشدة التي حصلت في بدء كل التشكيلات السياسية حتى التي كانت نتائجها حسنة للغاية. إذ الوحدة لا تحصل إلا بالضغط الشديد. وما اتحاد فرنسة الشمالية بفرنسة الجنوبية الا نتيجة مذابح وارهاب دام ما يقرب من قرن. الى أن قال: وقد كان لسياسة تفريق الجماعات حسب المعتقدات الدينية التي اتبعتها تركية اسوأ عاقبة عليها. فهي سبب خراب الشرق. اليكم مدينتي سلانيك وازمير تجدوا فيهما خمس او ست جماعات لكل منها خاطراتها الخاصة وقد لا يوجد فيما بينها جامعة البتة. بينا روح القومية تتطلب أن يكون ما بين جميع الافراد جوامع كثيرة وان يتناسوا اشياء كثيرة.

فما من وطني فرنسي يدري اذا كان بورغونياً اوالنياً تايفالينياً اوفيزيفوتياً كل فرنسي نسي سانت بوتلمي ومذابح فرنسة الجنوبية في القرن الثامن عشر»

هكذا تتألف الأمة ايها السادة . فهي صنيعة التسامح والنسيان . والتحاب والاتحاد . وإذا لم ينس العرب او يتناسوا كثيراً من حوادث تاريخهم المؤلمة التي كانت السبب الاقوى في تفرق كلمتهم . ويحيوا في اذهانهم كثيرا من محاسن ماضيهم المجيد التي انستهم اياها الضغائن والاحقاد فمن العبث أن يؤلفوا امة ذات كيان واحد يعود اليهم فيها سالف مجدهم وغابر حضارتهم

وقد كان الدين او العصبية المذهبية حتى اوائل القرن التاسع عشر اشدّ العوامل فعلا في تأليف الأمم ومزج الشعوب المختلفة ببعضها اما مبدأ القوميات فإنه لم ينشأ الامن عهد ليس منا ببعيد . فهو وليد القرن الماضي وربيب الجيل الحاضر . نفخته من روحها في نفوس الامم الاوروبية العظامية او حق الدم وفكرة الفتح والاستعمار والفلسفة الاجتماعية الحديثة فعلقت به قلوبها وحملته كرها في سويدائها ردحاً من الزمن غير قليل الى أن تمخضت به الثورة الفرنسية بأشد الآلام واعظم الاضاحي فقبلته الحرب الايتالية بالظفر والنصر فبدأ عام ١٨٥٩ في عالم حقوق الدول غضاً نضيراً يدعو الناس في المهد وهو صبي الى دين جديد وجامعة واحدة دين فيه الحق لجسم الأمة أن يطالب ولو بالسلاح بضم جميع اعضائه المبعثرة في سائر الاقطار اليه . جامعة لكل جماعة فيها الحق أن تنفصل ولو بالقوة عن الحكومة المنتسبة اليها سياسياً بصورة مشروعة او غير مشروعة لتنضم الى الأمة او الحكومة التي يربطها بها صلات وجوامع قومية . دين وجامعة أضرمت وستضرم في سبيلهما حروب هائلة ما الحرب العالمية الأخيرة

إلاشرارة من شرارها . ألا وهما دين الحريه وجامعة القومية . قال جون ستوارميل J. S. Mill حيث يوجد شعور القومية فهنالك حق قاهر لتوحيد جميع اعضاء الأمة تحت حكم واحد خاص منهم ولهم .

وقد كان لانتشار هذا المبدأ في اوروبة سرعة هائلة . فإنه لم يبد حتى اعتنقته جميع شعوبها . فكانت من معجزاته الوحدة الايتالية والالمانية والدول البلقانية وبولونيا والتشكوسلوفاكيا وتركية الجديدة والنهضة المصرية الحديثة . امابقية الأمم الشرقية والافريقية فإنها لم تنل من جنات هذا الدين الجديد حظا . ولا عجب فهي لم تؤمن بعد بقرآنه ولما تجاهد بالنفس والنفيس في سبيل احكامه .

وقد ذهب علماء الاجتماع في تعريف القومية وتعيين الشروط التي تقوم بها مذاهب شتى . فقال قوم إنها جامعة الأصل او العرق وقال آخرون هي جامعة اللغة لأنها مرآة العادات والاخلاق والافكار العامة وعنوان الامتزاج القديم والاتحاد الشديد . وذهب فريق إلى انها جامعة الدين والمنافع العامة والتاريخ والحدود الجغرافية . إلى غير ذلك من الجوامع العمومية . ولكل من هذه الآراء حجج لها وعليها لا يسمح لنا الحال بتفنيدها ودرسها . اما الحقيقة الناصعة فهي أن الأمة قد تتألف من كل ما ذكر قال توبينار Topinard « الأمة او القوميه هي اجتماع سياسي ولدته الظروف وساعدت على نموه التشكيلات الارضية ووحدة اللسان والدين واحكمت بنيانه العادات وذكرى السعادة والشقاء العام . اما المنفعة فإنها منه بدرجة ثانية . »

تلك ماهية الأمة من جهة التاريخ والنشوء البشري أما من الوجهة الاجتماعية في عصرنا الحاضر فالأمة جسم معنوي قوامه شعور القومية .

فهي لا تختلف في قانون تكوينها عن الاجسام الحية الفردية . تتألف من عنصرين مختلفين احدهما مادي والآخر معنوي . او بكلمة افصح من جسد وروح فحيثما توجد جماعات ينتعشون بخلق عام واحد فهنالك امة حية مهما اختلفت لغاتها وتباينت عناصرها وحيثما لا يوجد خلق عام فهنالك قبائل وطوائف . هنالك اجسام بلا روح لا كيان لها في الحياة الاجتماعية مهما توفرت فيها جوامع العرق واللغة والإقليم . اجسام تقضي عليها الطبيعة بالإستخذاء لغيرها من الأمم الحية كما انها تدفع هذه للاستيلاء عليها واستخدامها في سبيل منافعها . وذلك الخلق العام قوام الأمم وروحها فقد كان الدين في العصور السالفة أما في هذا الجيل فهو الشعور القومي

فسويسرة وبلجيكة امتان حيتان بالرغم من اختلاف الالسنة والعناصر والمعتقدات المذهبية فيهما والهند ليست امة حية على ما فيها من وحدة العرق والاقليم . ومصر والسودان امة واحدة على الرغم من اختلاف لون البشرة فيهما وذلك لأن الروح القومية التي تحركهما واحدة والقلب الذي يستقيان من نيله واحد . أما العرب ايها السادة من حيث مجموعهم اقول ذلك والحزن ملء القلب والوجه يصبغه الخجل . فإنهم بعد ان كانوا خير امة اخرجت للناس . بعد أن كانوا افضل الأمم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا خلقهم العام الدين وجامعتهم اللغة باتوا على الرغم من توفر جميع الجوامع الطبيعية والحيوية التي يقوم عليها بناء الأمة والقومية الطبيعي فيهم مما يندر اجتماعه في امة سواهم . باتوا على الرغم من ذلك لا يطلق عليهم في عرف السياسة الاجتماعية الحاضرة لقب امة انما يدعون شعوبا وقبائل لانحلال رابطتهم وتشتت اهوائهم وعدم وجود خلق عام يتخلقون به على اختلاف مللهم ومواطنهم

قال جون ستوارميل « ليست الأمة جسما او وحدة طبيعية تحد باشارات واوصاف خاصة وانما هي جسم معنوي قوامه الشعور » وما ادراك ما هذا الشعور . هو شعور القومية . ذلك الخلق العام او الروح الملية العامة التي تبعثها الجوامع الطبيعية الحيوية والتاريخية المشتركة في نفوس افراد الجماعات المتحدة فيرى كل منهم في معنى الأمة جسما حيويا مستقلا هو عضو عامل من اعضائه لا يعيش الا فيه ويموت إذا بتر عنه فيعمل فيه واليه . قال موريس بارس «شخص فصل عن قومه ووطنه اشبه بغصن انتزع من اصله لا يلبث أن يذبل ويموت . »

وقد ظل هذا الشعور الطبيعي كامنا في نفوس البشر حتى اوائل القرن المنصرم حيث تزلزت دعائم السلطة الدينية في اوروبة وبات الدين لله كله وقامت السلطة الزمنية المؤسسة على مبادئ الفلسفة الحيوية القائلة بتنازع البقاء وحق القوة وطما في نفوس الدول العظمى شره الفتح والاستيلاء والاستعمار فاصبحت اوروبة ميدان حروب هائلة خشي الناس فيها الناس وخافت الشعوب منها الشعوب وشعر كل قوم بوحشة العزلة وضرورة التعارف والإنضمام إلى اشد الناس بهم صلة واقربهم رحما واقدمهم عهدا اتقاء الفاتح او طمعاً بالفتح . ولما كانت المعتقدات الدينية لا تصلح أن تكون أساسا لهذا الاتحاد لشدة اختلافها بين ابناء البلد الواحد نشأت في النفوس عاطفة العصبية القومية فكان لظهورها في اوروبة أعظم موثر على تكوين ممالكها وعلى حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحاضرة .

وما زال الشعور القومي حكر الأمم الاوروبية ومثار عظمتهم وافتخارهم إلى ان اضرمت فيما بينهم نيران الحرب العالمية الأخيرة التي زلزلت كما قال سر فالانتين شيرول Sir Valentin Chirol ايمان آسية القديم بسمو

التفوق الاوروبي المادي والادبي فكان للشعوب الشرقية والافريقية في ميادينها مواقف عظمى وضحايا كبرى ملأت نفوسهم عصبية قومية اورث آيات الرئيس ولسن الاربعة عشر زنادها فاستعرت على ما يواريهـا من رماد الجهل وانقاض العبودية اشتعلت ولا بد لاشتعالها من ضرام يلتهم افئدة الاستعمار ويذيب قيود الظلم والعبودية .

ففي مصر لهيب وفي السودان اجيج وفي مراكش استعار وفي الهند شرار وفي تيجيريه دخان يستمد جميعه من بركان واحد حتى إذا انفجر تتغير الأرض غير الأرض ويتبدل العالم غير العالم

وقد اهاب هذا المنظر الرهيب عقلاء الأمم المستعمرة فاخذوا يصيحون بأممهم يحذرونهم من هول ذلك اليوم العصيب ولكن أنى الشمل أن يعي وللطامع الشره ان يرعوي . قال الدكتور دي بوا في مقدمة كتابه Daker Water : « إذا لم يقعد العالم الأبيض عن ظلم العنصر الاسود والأحمر والاصفر وعن احتقارهم واذلالهم فإن اهوال الحرب العالمية الأخيرة سوف لا تكون شيئاً مذكورا أمام تلك الحرب الطاحنة التي سوف تضرمها الشعوب المستعمرة لنيل حريتها . »

وقال ماركس غارفي Marcus Garvey كما يتطلب الانكليز انكلترة والفرنسيس فرنسة والايطاليون ايطالية وطناً لهم كذلك تتطلب الأمم الافريقية افريقية وسيريقون دماءهم في سبيل خلاصها . وإن اشد الحروب الدموية هي الحرب التي ستظهر في المستقبل حينما توجه اوروبة قواها على آسية فيستل الافريقيون سيوفهم لتحرير بلادهم .

وقال تيوفيل سيمار في كتابه الذي نقد فيه مذاهب العناصر البشرية :

« اخذت الأمم المستعبدة تطالب بمساواتها بمستعمريها باسم المبادئ التي

اعلنتها شعوب الحلفاء اثناء الحرب الكبرى . وإن مـذاهب الغوبينيين والنيليشيين والشمبرلانيين قد فسحت للغرب مجالا واسعاً للإستعمار تغلغل في احشائه . بيد أننا اخذنا نبصر اليوم ظهر المجن ونتساءل مع الدكتور لجاندر إلى اين انت ذاهبة يا أوروبة . فلنتراجع بكل جرأة ولنعترف بخطأنا بلا تردد . ولنعلم أن تلك الالفاظ الخلابة كالعنصر وشرف الدم والنجابة القومية لا تحل لنا ذلك المشكل المعقد الخطير الذي يبدو اليوم لأعيننا بكل جلاء ألا وهو مصير علائقنا في المستقبل مع الاسيويين والافريقيين . »

هكذا دبت روح القومية في نفوس الشعوب الشرقية والافريقية فاخذوا يبصرون مواقع الضعف فيهم ومواطن القوة في مستعمريهم . ولعمري إن في معرفة الداء وصف الدواء ونيل الشفاء .

وباعتبار القومية شعورا قد تكمن وقد تبدو وقد تسكن وقد تثور وقد تظهر في طبقة من الناس دون سواها كما انها قد تعم جميع افراد الأمة وذلك بتأثير عوامل مختلفة اهمها ماهية العناصر التي تتألف منها الأمة ودرجة امتزاج بعضها ببعض . ففي الأمم المؤلفة من قومية واحدة كاليابان أو من عناصر مختلفة تلاشت اصولهم في قومية واحدة كفرنسه . أو من شعوب مختلفة اللغات تربطهم علاقات تاريخية وديـة كسويسرة وبلجيكة لا يكون شعور القومية ثائراً هائجا إنما يكون ساكنا ويختلط بشعور الوطنية

أما في اعضاء الأمم المبتورة من اجسامها الخاضعة لغير سلطانها كالأرمن واليونان العثمانيين قبل الحرب الأخيرة وفي الحكومات المؤلفة من عناصر مختلفة متوازنة القوى كاوسترية قبل الحرب او متباينتها كالدولة العثمانية سابقاً فإن شعور القومية في هذه المواطن يكون شديداً متهيجاً بعامل الانفعال المنبعث عن تنازع السلطة والبقاء . خلافاً لشعور

الوطنية فإنه يكون ضعيفا ضئيلا في هذه الأحوال

وإذا نظرنا إلى العرب قبل الحرب وبعدها نجد أن روح القومية كانت اشد في نفوسهم قبل الحرب منها في هذا العهد وذلك لأن الانفعال الذي كانت تحدثه القومية التركية المتأججة في نفوسهم خمد بجلاء الاتراك عن البلاد العربية لعدم قيام موثر عام يهدد الجنسية العربية مباشرة بدلا منه. ولما ولدته التشكيلات الادارية بينهم من عدم الاعتماد على النفس ومن النعرة المنطقية والطائفية التي هي اشد خطرا على وحدتهم واستقلالهم من قيود الاستعمار وبراثن الظلم والاستبداد . على اننا إذا استقرأنا تاريخ نشوء هذه الروح فيهم نجدها ترجع إلى ما قبل الحرب الكبرى بسنين وأن سورية كانت اسبق البلاد العربية إلى اعتناق المذهب القومي والجهاد في سبيله فهي البوءرة التي اتقدت فيها تلك الروح الشريفة ومنها انتشرت في جميع البلاد العربية . وما الاخاء العربي والمنتدى الادبي والجمعية القحطانية والعهد والثورة والنهضة والاصلاح واللامركزية والاستقلال إلا فيالق تولى السوريون قيادتها وتراصّ في صفوفها ابناء الأمة العربية البررة للجهاد في سبيل الدعوة القومية العربية واحياء مجد العرب . وما النفوس الزكية التي زهقت على اعواد المشانق والدماء الشريفة التي اهرقت على الربوع والطلول إلا شهداء الاخاء العربي وضحايا سورية المحبوبة على مذبح القومية العربية . . .

تلك ماهية الأخلاق ايها السادة وتلك الأخلاق العامة التي تكيفت بحسبها احوال الأمم منذ بدء التاريخ إلى يومنا هذا اللهم بصورة عامة لا تتجرد عن الشاذ والغريب . اما كيفية نشوء الأخلاق في الأمم واسباب فسادها فليس لي أن اخوض في البحث عنها الآن لأن المقام والحال لا يساعدان على ذلك.

ومما تقدم يتضح لنا ما عرضته في صدر محاضرتي السابقة من أن الامم هي الأخلاق تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها لأنها روح اجتماعها وقوام اتحادها . واس بنيانها . وان الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ما اتحدت احجاره اما إذا تخلخلت فلا يلبث أن يندك وينهار . وانه يتعذر على الأمة العربية المتفرقة المتمزقة المتفسخة أن تستجمع قواهـا وتوحد كيانها وتبرز للعالم بمظهر الأمم المستقلة الحية قبل أن تتخلق بخلق عام واحد يكون لها روحا تنتعش بها وجامعة تتوحد فيها . وليت شعري اي الاخلاق تألفه امزجتها وتتحد به عناصرها . ؟ . هل الدين ؟ وهو كما جعله فريق مثار عصبيتها ومصدر اختلافاتها ومنبع تفرقها لتعدد اسمائه وتشوه محاسنه ولما اصيب به من كثرة المذاهب ووفرة الطرق ولما دخل عليه من البدع وتطرق اليه من العلل مما هو براء منه ومما لا سبيل إلى اصلاحه إلا بصلاح الأمة نفسها . هل الوطنية ؟ وأنى للوطنية ان توجد وليس هنالك وطن . وأنى للروح أن تتجلى وليس هنالك جسد . وهل ينمو الحب قبل أن يخلق المحبوب وينبت الحب قبل ان ترضعه الأرض ؟ فالوطنية بنت الحرية وربيبة الاستقلال ومتاع الأمة الحرة . تنشدها الأمم المستعبدة ولا تجدها ولن تجدها ما دامت ايديها مغلولة ورقابها مرهونة . هل القومية ؟ بـلى ايها السادة . إن القومية خير جامعة تجمع شتات الأمة العربية على اختلاف مذاهبها ومواطنها . يدين بها اليهودي والنصراني والمسلم عراقيـا او سوريا مصريا او حجازيا نجديا او يمنيا . هي الجامعة الطبيعية التي تجمع الابن بأبيه والأخ باخيه . هي البقية الباقية من ذلك الإرث التاريخي العظيم التي لم تقو الأيام بعد على اختلاسها ولا جراثيم السياسة عـلى افسادها . هي الغيث الوابل الذي ينهمر على الأرض الجافة فيحييها حتى إذا رويت

يتدفق سيلا يجرف الحدود الصنعية ولا يتعدى الحواجز الطبيعية .

هذا هو الدواء الناجع لذلك الداء العضال ينظر اليه العليل وقداضناه المرض فهو لا يقوى على اخذه . فليت شعري هل يهب الله له من نفسه قوة تحمله اليه فيشربه او يقيض له ممرضا حكيما مخلصا يحقن بـه قلبـه فينتعش به . هذا سؤال سيجيب عليه الغد وإن غدا لناظره قريب .

الدكتور

دمشق اسعد الحكيم

خواطر الشعر في فارس

على كرند

خليليّ احسن ما شاقني بفارس هذا الجمال الطبيعي
إلى الآن تجري متون الجبال علينا بمثل مذاب الدموع
هلما معي نحو هذي الرياض نجدد عهـدا بفصل الربيع
فقد اضحت الأرض مخضرة تضاحك عن شمل حسن جميع
ومهلا فظلم لهذا الجمال نمر عليه بلحظ سريع
خليليّ إن جيوش الغمام عرفن لفارس حسن الصنيع
الم تريا كيف ضرع السحاب يرق لهذا النبات الرضيع
خليليّ ما في بقاع الوجود ابهج من وشي هذا البقيع

* * *

بني الفرس فارسكم لا العراق وزاهي ربوعكم لا ربوعي
وما ابهج الشمس قبل الغروب تحيي رباكم وقبل الطلوع
ولم لا تريع باريافها بلاد تسيل بماء مريع
احباي ما غيرت فارس محل البصير بكم والسميع
ولو شئت حملت برقية تزف اليكم من رجيف الضلوع

النجف محمد مهدي الجواهري



سيكفيك رسمي

احمد ما ابثثتك الهم والجوى — لتسعدني · إلا لأنك عارف
ألا لا تنل شكواي منك فإنها — تؤلم حتى الصخر هذي القذائف
يقولون مطبوع القريض لطيفه — فهل قوبلت باللطف هذي اللطائف
الا لو يبوح الشعر مني بما انطوى — لهبت على هذي الطروس عواصف
سيكفيك رسمي عن شروح كثيرة — فظاهره عن باطن الامر كاشف

الجواهري

ابو العتاهية

ولد سنة ١٣٠ هجرية (٧٤٨ م)
وتوفي سنة ٢١١ " (٨٢٨ م)

هو ابو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور وامه من بني زهره . ولد سنة ١٣٠ هجرية (٧٤٨م) من اصل عربي بعين التمر وهي على ما جا في الأغاني بليدة بالحجاز قرب المدينة وقيل إنها قرب الأنبار في العراق

قال محمد بن سلام وكان محمد بن ابي العتاهية يذكر أن اصلهم من عنزه وان جدهم كيسان كان من اهل عين التمر فلما غزاها خالد بن الوليد كان كيسان جدهم هذا يتيما صغيرا يكفله قرابة له من عنزه . فسباه خالد مع جماعة صبيان من اهلها فوجه بهم إلى ابي بكر فوصلوا اليه وبحضرته عباد بن رفاعة العنزي بن اسد بن ربيعة بن نزار . فجعل ابو بكر يسأل الصبيان عن انسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته حتى سأل كيسان فذكر له أنه من عنزه فلما سمعه عباد يقول ذلك تحرك دم القرابة فاستوهبه من ابي بكر وقد كان خالصاً له فوهبه له فاعتقه فتولى عنزه

فإذا كانت هذه الرواية صحيحة يرجح أن عين التمر كانت قرية في الحجاز فسكن فيها كيسان بعد أن اعتقه عباد لصعوبة السفر في تلك الأيام وخصوصا لأن المسافة بين الحجاز والعراق شاقة .

وكان ابو العتاهية وابراهيم الموصلي من اهل المزار فقدما إلى بغداد ثم افترقا فنزل ابراهيم الموصلي ببغداد ونزل ابو العتاهية الحيرة ثم نقله ابوه الى الكوفة . فنشأ فيها يعمل الجرار الخضر هو واهله . وكان في اول امره

يتخنث ويحمل زاملة المخنثين فسئل عن ذلك فقال إنما قصدي تعلم كلامهم وكان نظيفا ابيض اللون اسود الشعر له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقه وحصافة . وكني بأبي العتاهية لأنه كان في اول امره يحب الشهرة والمجون والتعته وقيل إنه سمي بذلك لأن الخليفة المهدي قال له يوما أنت انسان متحذلق متعته فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له في الناس .

قلت إن شاعرنا ولد في عين التمر وقد قضى ايام حياته تحت جو تلك القرية الصافي ومناظرها الطبيعية حيث يرتسم في مخيلة كل ولد ميل فطري للشعر والتأمل في جمال الطبيعة الرائع فاحس من حداثته باقتداره على النظم وعندما انتقل الى الكوفة مقر العلم والعلماء ومنبعث الشعر والشعراء الزاهية يومئذ بالآداب العربية ظهر ميله الفطري إلى الشعر لاحتكاكه بكثير من الأولاد الذين كانوا ينظمون الأشعار وقد كان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه .

ولكن ما كان عليه ابو العتاهية من عسر الحال كان من اكبر الموانع التي وقفت في سبيل انخراطه في سلك الأدب منذ حداثته غير أن ذلك لم يكن ليمنعه عن تضحية ما تبقى له من اوقات الفراغ في مطالعة الشعر ونظمه ودرس اقوال ادباء ذلك العصر وقصته مع الفتيان الذين كانوا يتناشدون الأشعار وهو يدور بقفص الجرار ليبيع ما معه أكبر دليل على ما كان للأدب من المنزلة الرفيعة في نفسه . فسدد خطواته في سبيل مكافحة الفاقة تارة والإطلاع على الآداب الحديثة اخرى ارضاء لطموح في نفسه ولا غرابة إذا نبغ ابو العتاهية لأن ميله الفطري الى الشعر وارادته القوية في احوال كتلك يكونان شاعرا رغم ما يعترض من الموانع في هذا

المسلك الوعر

فقال الشعر وبرع فيه وتقدم وكان وهو جرّار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها . واذا قدر الشعراء بشاعريتهم فلا شك أن شاعرية ابي العتاهية من الدرجة الأولى وقيل إنه كان من اطبع الناس على الشعر وقد قال عن نفسه إنه لو اراد أن يجعل كل كلامه منظوما لفعل .وفون كريمر يعتقد انه اشعر من ابي نواس وينكلسون يعارضه في ذلك . وكان غزير المادة والبحر لطيف المعاني سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف إلا أنه مع ذلك كثير الساقط المرذول وخصوصا قبلما زهد في الدنيا وكان الأصمعي يقول شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى

إن ابا العتاهية من مؤسسي الانقلاب الشعري لأن قسما كبيرا من شعره لا ينحصر في العروض . وقد اطلق نفسه من التقيد بالاوزان الشعرية الموضوعة أو التقليد في التركيب فأتى بمعان جديدة ونظم على اوزان لا تدخل في العروض فلم يتقدمه فيها احد ولم يكن يخشى في ذلك احدا حتى شهد له الشعراء وقالوا عنه انه اشعر الإنس والجن

وعند ما اشتهر ذكره وذاع صيته سمع به الخليفة المهدي فأقدمه إلى بغداد . فدخل عليه ابو العتاهية وانشده قصيدة مطلعها

الا ما لسيدتي ما لها تدلّ فاحمل ادلالها

وكان بشار بن برد حاضرا فاستخف بها حتى إذا وصل الى قوله

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

ولـو رامها احد غيره لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلو ب لما قبل الله اعمـالها

قال بشار لجار له « انظر ويحك هل طار الخليفة عن عرشه »

فلقي ابو العتاهية حظوة لدى المهدي ونال جوائز وصار من المقربين عنده . وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه فاحرز نفوذا عظيما عنده حتى كثيرا ما كان يتوسط بالعفو لديه . وبقي عند المهدي يحضر ناديه وينال بره . فتعرّف بجاريته عتبة فأحبها حباً شديدا واخذ يذكرها بشعره وينظم القصائد الغزلية فيها . اما هي فلم تكن تحبـه وكانت تضرب بقصائـده عرض الحائط وغضب المهدي لذكره اياها في شعره فامر بحبسه فحبس . فكتب اليه ابو العتاهية ثلاثة ابيات من الشعر يستميحه عذرا عما فعل فرق له وامر باطلاقه . وهذه الحادثة قلبت مجرى حياته انقلابا بينا فيئس من الحب ولبس الصوف وتزهد وحول شعره من الغزل والغرام إلى الزهد والتقوى وذكر الموت والاستعداد للآخرة . وكان لهذا التغيير الفجائي تأثير حسن على عقول العامة والطبقة الوسطى في تلك الأيام لأنه ضرب على وتر حساس فيهم فحرك عواطفهم وخصوصا لأن عباراته كانت سهلة طلية يفهمها كل إنسان .

ولما توفي المهدي وبويع للهادي استخفى ابو العتاهية خوفا منه وكان الهادي ينقم عليه لملازمته اخاه هارون ثم انفذ اليه رقعة فيها

ألا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنـا شر مـا نتوقع
يروّعني موسى على غير عثرة ومالي ارى موسى من العفو اوسع (؟)

فأرسل اليه الهادي الأمان وامر له بمال ولم يزل عنده مكرماً حتى توفي . فتولى هارون الرشيد فدخل عليه وامتدحه بقصائد غـراء وكان

لايفارقه في سفر ولا في حضر وكان يجري عليه في كل سنة ٥٠٠٠٠ درهم (نحو الفي ليرة انكليزية) سوى الجوائز والمعادن والعطايا منه ومن امرائه ووزرائه .

ولما تزهد ولبس الصوف ترك حضور المنادمة والقول في الغزل فحبسه الرشيد لذلك وضيق عليه . والحقيقة على رأي كولدزيهر Goldziher أن الرشيد إنما حبسه لأن اشعاره التي كان ينظمها في الزهد لم تكن دينية بحتة بل فلسفية وكان يشتم منها رائحة الحرية الدينية فكان الرشيد يخاف ان يتمادى ابو العتاهية في هذا النوع من النظم فيعلم الناس الحرية الفكرية الأمر الذي يقود إلى الزندقة وفي هذا ما فيه من الخطر على المملكة وخصوصاً لأن ابا العتاهية كان يكتب إلى العامة ويؤثر فيهم تأثيرا ظاهرا . ولا يبعد أن يكون قد سجن للأمرين تمنعه عن حضور المنادمة وقول الغزل بعد أن أمره الرشيد بهما واتهامه في امر الدين في شعره الفلسفي .

وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى شأن الذي يحلون انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد ويقيسونه على العقل لا على النقل . فاستقر رأيه اخيرا على التمسك بالإسلام . وقوله

يا بني آدم صونوا دينكم ينبغي للدين أن لا يطرح

يدل على ذلك

وكان قوم من اهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة من لا يؤمن بالبعث ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت دون ذكر النشور والمعاد ولكنهم قد ظلموه بذلك . والابيات الآتية من قصائد له مشهورة تدل على انه كان يؤمن بالبعث والجنة والنار

اما والله إن الظلم لـوم ولكن المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

* * *

من كان عند الله مذخرا فستستبين غدا ذخائره

* * *

يا راكب الغي غير مرتشد شتان بين الضلال والرشد
حسبك ما قداتيت معتمدا فاستغفر الله ثم لا تعد

* * *

وامثلة هذه كثيرة في ديوانه .

وكان بعض من مال به هواهم إلى المجون وغلب عليهم في ذلك الجنون يمقتون اباالعتاهية ويحسدونه ويغتابونه لانصرافه عن طبقتهم من الشعراء المجان إذ بان له من ضلالهم بعد ما يئس من الحب مازهده في افعالهم فمال عنهم ورفض مذاهبهم واخذ في غير طريقهم وتاب توبة صادقة وسلك طريقة جميلة فزهد في الدنيا ومال إلى الطريقه المثلى وداخل العلماء والصالحين ونور الله قلبه فشغله الفكر في الموت وما بعده ونظم مااستفاده من اهل الصلاح من السنن وسير السلف الصالح واشعاره في الزهد المواعظ والحكم لا مثيل لها لأنها مأخوذة عن كتب الدين والسنة وما جرى من الحكم على ألسنة هذه الأمة . وكانت طبقته الأولى تعيبه حسدا له وبغضا حتى قالوا إنه لا يؤمن بالبعث وانه زنديق

كان مذهبه القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم انه بنى العالم هذه البنية منهما وأن العالم حديث الصنعة لا محدث له إلا الله وكان يزعم ان الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً.

وكان يذهب إلى أن المعارف تكتسب بالفكر والاستدلال والبحث

والمطالعة وليس بالوحي . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ويتشيع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . ومع انه كان شيعيا حسبما يظهر لأن امه كانت من بني زهرة وهم شيعيون فلم يذم السنيين ولم ينظم شيئاً يغضبهم ولم ينتقص احدا ولم يرَ الخروج على السلطان وكان مجبرا

نظم ابو العتاهية في كل ابواب الشعر الا انه امتاز منها بالزهد وكان مذهبه صرف النظر عن الحاضر وتوجيهه إلى الآخرة . ومع أن كثيرا من قصائده فلسفية ففيها كثير من التعاليم الاسلامية بما يختص بالحياة والقيامة والآخرة وهذا يظهر من قصيدته التي مطلعها

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب
لمن نبني ونحن إلى تراب نصير كما خلقنا من تراب

ويقال إنه أخذ كثيرا من المعاني الزهدية والفلسفية عن كلام الفلاسفة اليونانيين لما حضروا تابوت الاسكندر وقد اخرج الاسكندر ليدفن فقال احدهم كانَ الملك امس اهيب منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس وقال آخر سكنت حركة الملك في لذاته وقد حركنا اليوم في سكوته جزعا لفقده . فقال ابو العتاهية في علي بن ثابت وهو يجود بنفسه

يا شريكي في الخير قربك الله فنعم الشريك في الخير كنتا
قد لعمري حكيت لي غصص الموت فحركتني لها وسكنتا

ثم رثاه على قبره في هذه الأبيات

الا من لي بأنسك يا اخيا ومن لي أن أبثك ما لديا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه نشرا وطيا
فلو نشرت قواك لي المنايا شكوت اليك ما صنعت اليا
بكيتك يا علي بدمع عيني فما اغنى البكاء عليك شيا

وكانت في حياتك لي عظات وانت اليوم اوعظ منك حيا

وهي من ابدع ما جاء في هذا الباب

ومن احسن ما نظم في الزهد قوله يؤنب المرء على تشاغله عن آخرته

يا ساكن الدنيا لقد اوطنتها وامنتها عجباً فكيف امنتها
وشغلت قلبك عن معادك بالمنى وخدعت نفسك بالهوى وفتنتها

والبيت الثاني ينفي ما يتهمه به البعض من انه لا يذكر المعاد

ومن احسن ما نظم في المديح قوله في مدح المهدي

ومهمه قد قطعت طامسه قفر على الهول والمحاماة

إلى ان يقول

من مثل من ساد اعماما ثم من اخواله اكرم الخؤولات

وقوله في مدح هارون الرشيد القصيدة التي مطلعها

جرى الك من هارون بالسعد طائره إمام اعتزام لا تخاف بوادره

وقوله في رثاء زائدة بن معن القصيدة التي مطلعها

حزنت لموت زائدة بن معن حقيق ان يطول عليه حزني

وقوله في هجو والبة بن الحباب القصيدة التي مطلعها

اوالب انت في العرب كمثل الشيص في الرطب

وقوله يعظ بالاكتفاء

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه
الا إنما مالي الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركه

وارجوزته الحكمية التي منها

حسبك مما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

ومن مبتكراته في المعاني قوله

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقوله لاحمد بن يوسف

الم تر ان الفقر يرجى له الغنى   وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي

ولما استقلوا باثقالهم   وقد ازمعوا للذي ازمعوا

قرنت التفاني باثارهم   واتبعتهم مقلة تدمع

ولا يمكن احدا ان يفهم ابا العتاهية ما لم يدرس ديوانه درسا دقيقاً وهذه الامثال نقطة من بحر . فقد كان شعره مرآة الشعور والاعتقادات في العامة والطبقة الوسطى لذلك العهد

ويؤخذ من سيرة حياته انه كان مترددا متقلبا والسبب في ذلك انه كان يستجدي بشعره فيضطر إلى التقلب مع الأهوا والسعي وراء النفع حيث كان كما يفعل كثير من الزعماء في هذه الايام اصحاب الوظائف في الحكومة . ويدل على تقلبه أنه كان طول حياة يزيد بن منصور يدعي انه مولى لليمن وينتفي من عنزه فلما مات يزيد رجع إلى ولائه فعوتب في ذلك فقال « ذلك شيء احتجنا اليه في وقته . »

وكان (مع شدة زهده ووعظه بالاكتفا واعتقاده أن الله يدبر خلقه فلا يعوزهم إلى شيء وذمه البخل في بعض اشعاره) شديد البخل دائم الحرص دائم الجوع شحيحاً على نفسه وعلى غيره حتى انه كان يأكل خبزا يابساً بلاشيء . وربما يكون هذا الذي دعا البعض أن يعتقدوا انه كان مرائيا فشحه على نفسه من نتائج الزهد والتنسك اما شحه على الفقراء وعلى خادمه كما جاء في الأغاني فمسألة فيها نظر

عاش ابو العتاهية إلى ايام المأمون وله فيه مدائح ثم عاد إلى زهده وانقطع عن اصحابه إلى أن مرض مرضه الأخير . واختلف في سنة موته

قال ابنه إن ابي توفي سنة ٢١٠ هجرية (٨٢٦م) وقيل بل توفي سنة ٢١٣ هجرية (٨٢٩م) ونيكلسون يقول إنه توفي سنة ٢١٢ ه‍ (٨٢٨م)

ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد وكان أمر ان يكتب على قبره

اذن حيّ تسمّعي | اسمعي ثم عي وعي
انا رهن بمضجعي | فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة | اسلمتني لمضجعي
كم ترى الحي ثابتا | في ديار التزعزع
ليس زاد سوى التقى | فخذي منه أودعي

بيروت — امين الحسن

من اساتذة الجامعة الأميركية

القلم

القلم ترجمان عقل المرء . مخاطبة البعيد بلسان القلم

قلمك رسولك الصادق . يعلم فضل المرء بقلمه

بالقلم تعلم ما في الصين . بالقلم تشافه الملوك

بالقلم حياة العلم . وبالعلم حياة العالم .

القلم والصدر خزانتان

العدل والعادل

العدل اساس السعادة . القوة بلا عدل نار محرقة لا تبقي ولا تذر .

لا حياة للضعيف بلا عدل . لا سائس كالعدل ولا نعمة كالعقل .

العدل من صفات الرحمن . وناهيك به مدحاً وثناء .

العادل من عدل بين نفسه وابناء جنسه .

والمنصف من اعطى النصف من نفسه .

(مح) النجفي

سوريا

محجوبة والمجد من حجابها والناس طرا خشع في بابها
مخطوبة لكنما الأمجاد والأ قيال والأملاك من خطابها
لواؤها الخفاق يمشي تحته الـ جلال والعزة من ركابها
وليست الدنيا سوى صحيفة لكنها المعجز من كتابها
سعت الى إعظامها كل الورى وما مطاياها سوى البابها
معلمة برودها قد فوف الإ بداع ما استشف من جلبابها
كأنها من كل قلب خلقت فكل قلب مغرم مغرىً بها
بها يحف من جنان ربها حدائق والمسك من ترابها
والوردوالنسرين من ازهارها والعنبر الداري من ملابها
وكوثر الفردوس من مياهها والسلسبيل العذب من شرابها
احسابها مضيئة كأنها الـ معروف في الدهور من انسابها
يحوطها سرادق ممنَّع يحجبها لا بوشيج غابها
كم انجبت في الدهر من مناصب وعظماء الدهر من انجابها
تهوي اليها من سحيق عصب من قومها على مدى اغترابها
يقطّع الحنين منها انفساً تطوى على المؤلم من اوصابها
إن كان عذريا هواها فهو مو قوف على السالف من احقابها
او كان غربيا ففي طوالع في شرقها كالغر من آدابها
او كان نجديا ففي نجودها او كان شعبيا ففي شعابها
لها المقاصير التي قد قصرت عن دركها البروق في سحابها
ودينها توحيد باريها ولم يزرِ بها الكثير من اربابها

إن أضلّ الناس دينا عابـد لم يتجه جهلا إلى محرابهـا

* * *

احبها وما السعيد في الورى إلا الذي اصبح من احبابها
أغار أن تهبّ فيهـا نسمـة ولم تكن تعزى إلى هضابها
أغار أن يرنو اليهـا ناظـر ولم يكن يعزى إلى اهدابها
بطور سيناها واورشليمهـا وصفوة الأنام من اقطابهـا
وغوطتيهـا ونوامي ارزها والعرب والبادين من اعرابها
ما افتتنت نفسي بغير حبها وهي لنفسي منتهى إعجابها
إن طربت نفسي فما غير غنا ءطيورها يسجعن من اطرابها
آذارها عندي في شهورها وهي الكريمات كشهرآبهـا
لهايد عندي وإن انس من ال أشيا فحسبي صلة انتسابهـا
مجبولـة جبلتي مـن تربهـا وماؤها الجائل في اعصابها
دولتها والوحي من حراسها وحكمة الخلاق من احزابها
وبعلبك من شهود مجدهـا وتدمر العجباء مـن كتابها

* * *

هل يسترد الدهر ماقدسلبت يـداه مما عز من اسلابها
ويرجع استقلالها فلا ترى راسفة في ذلة انتدابها
مالكة بصمتها سمع الورى وصمتها ابلغ مـن خطابهـا
عزّ لها الضريب في الأرض وما غير دراري الأفق من اضرابها

ابن زين الدين
العاملي

بين جبل عامل وجبال العلويين

٤

برحنا بعلبك نحو الساعة السابعة زوالية قبل ظهر الاثنين ٢ صفر (١٣٤٣) في السكة الحديدية واخذت تتراءى لنا بعلبك وعظمتها الغابرة وهيكلها الفخم وحدائقها النضرة التي تنساب بها المياه كأنها اللجين وما لبثنا ان وصلنا إلى محطة اللبوة فرأس بعلبك ومن هذه المحطة يذهبون للهرمل والمسافة ثلاث ساعات ركوبا على الدواب فالقصير وهي مركز ناحية وبها توفي المرحوم محمدعلي حشيشو في زمن الحرب فقطينه فحمص وقد بلغناها نحو الساعة العاشرة فكانت المسافة بينها وبين بعلبك ثلاث ساعات



حمص (١)

ركبنا عربة فسار بنا السائق توا إلى نزل المنظر الجميل وهو نزل

(١) قال ياقوت حمص بالكسر ثم السكون والصاد المهملة بلد مشهور قديم مسور

خارج البلدة تشرف عليه حديقة البلدية وفرع نهر العاصي الذي يمر في حمص لكن هذا النزل فقير في نظافته واتقانه وخير منه نزل الزهرة ومن

وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق . وروى عن ابي عون في زيجه أن طول حمص ٦١ درجة وعرضها ٣٣ درجة وثلثان وهي في الإقليم الرابع

وحمص من المدن القديمة كان اسمها القديم (امسا) فحرف إلى حمص وقيل إن اسمها نسبة لبانيها أحد العمالقة او هو من نسل عاملة وكان بها هيكل الشمس الفاخر الذي كان خدمته من الاعيان والاشراف وبها قتل زوج زنوبيا ملكة تدمر الشهيرة وكانت موطن استاذها ومشيرها لونجينوس الفيلسوف المشهور

قال ياقوت بناها اليونانيون وفي تاريخ سوريا لجرجى يني انه حصلت معركة عندها بين القيصر اورليان الروماني وبين زنوبيا ملكة تدمر فدارت عليها الدائرة وافضى امرها إلى ان قيدت بسلاسل ذهبية واخذت اسيرة إلى رومية

ولما انتشرت الديانة المسيحية تمذهب اهلها بها ثم فتحت مع ما فتح من البلدان السورية على عهد الخليفة الثاني فتحها أبو عبيدة الجراح سنة ١٤ للهجرة (٦٣٦م) واستخلف عليها يزيد بن ابي سفيان كما في فتوح البلدان للبلاذري ثم خلفه عبادة بن الصامت ولما قدم اليها ابو عبيدة نزل بباب الرستن فصالحه اهل حمص على أن أمنهم على أنفسهم واموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وارحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج على من أقام منهم . وقيل كان الصلح على مائة وسبعين الف دينار اما الصليبيون فلم يفتحوا حمصا وماذكره ابو الفداء وابن خلدون من أنهم ساروا إلى حمص وصالحهم أهلها فربما كان ذلك بدفع مال لهم او ذخيرة ودخلت في حوزة العثمانيين حينما امتلك سورية السلطان سليم واستولى عليها ابراهيم باشانجل خديوي مصر وكانت وقعة مشهورة بينه وبين الدولة العثمانية على مقربة من حمص وذلك سنة ١٨٤٠ م ثم استرجعتها الدولة مع سائر مدن سورية وخرج منها عدة علماء وادباء منهم محمد بن عوف المتوفى سنة ٢٦٩ هـ وأبو الحسن الكلاعي الحمصي المتوفى سنة ٣٠٩ وممن اشتهر منها في القرن الماضي المعلم بطرس كرامه صاحب الخالية المشهورة التي مطلعها

محسنات هذا النزل ايضا أن به مطعما نظيفا يحسن طاهيه طبخ الطعام وقد علمنا أن صاحب نزل المنظر الجميل يغري الحوذية ببرغوث على كل راكب فيحضرون الركاب توا الى نزله والحوذية في كل مكان لا أخلاق لهم لكن لم ار أحط أخلاقا ولا اكثر طمعا من حوذية حمص وحماه .

ذهبنا لمحل عبد المؤمن افندي الشيخة وهو الكتبي الوحيد في حمص ومحله بسوق العبي فألفيناهناك رشيدافندي الملوحي وهو حمصي الأصل

أمن خدها الوردي افتنك الخال　　فسح من الاجفان مدمعك الخال



ومنها السيد عبد الحميد الزهراوي الكاتب الحر الكبير الذي استشهد في زمن الحرب الكبرى

قال ياقوت ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يضرب بحماقتهم (؟) المثل . إن أشد الناس على علي رضي الله عنه بصفين مع معاوية كان أهل حمص واكثرهم تحريضا عليه وجدا في حربه فلما انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غلاة الشيعة حتى أن في أهلها كثيرا من رأى مذهب النصيرية وأصلهم الإمامية الذين يسبون السلف الخ وأيد ذلك ابن

لكنه يشتغل الآن في ادارة المقتبس وكان عازما على العودة للشام فتأخر فكان دليلنا حيثما ذهبنا فقد زرنا ادارة جريدة فتى الشرق وهي صحيفة صغيرة تطبع على مطبعة تجارية وزرنا إدارة جريـدة حمص وهي جريدة الروم الارثوذكس ولها مطبعة حسنة جامعة للأدوات المطبعية وكنا زرناها منذ اثنتي عشرة سنة حينما كان يديرها صديقنا قسطنطين افنديني وزرنا الكلية العلمية فألفينا صاحبها متغيبا بحلب وكذلك سائر المدارس فقد كانت آنئذ مقفلة وموقع حمص جميل جدا في سهل منبسط شرقي دمشق بانحراف قليل وليس هناك جبال تحجب عنها الهواء لذلك لا ينقطع منها ابدا وتراه أغلب الأحيان عاصفا وهي تعلو عـن سطح البحر خمسمائة متر وتعـد مصطافا نسبة لتلك الجهات وهي كبيرة تبلغ نفوسها زهاء ٥٦ الف نسمة

جبير الأندلسي الرحالة المعروف إذ قال : وسألنا احد الأشياخ بهذه البلدة هل فيها مارستان على رسم هذه الجهات فقال وقد أنكر ذلك حمص كلها مارستان وكفاك تثبيتا شهادة أهلها بها ... وهذا الكلام لاسيما كلام ياقوت لا يخلو من تحامل ظاهر وكذلك ما يروى عن الحمصيين من النوادر الغريبة فلا يبعد أن يكون وضعها عليهم اعداؤهم لكن ابن جبير قال عنها : هي فسيحة الساحة ، مستطيلة المساحة ، نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة ، الخ وقال عن اهلها أنهم موصوفون بالنجدة ومدح هواءها حتى قال إن الهواء النجدي في الصحة شقيقه وقسيمه وقال إن بها مدرسة واحدة وشبهها باشبيلية في الأندلس وهي المسماة باسمها ومما يدل على تعصبهم للأمويين في بدء أمرهم ما رواه ياقوت ان اول مولود ولد في الإسلام بحمص ادهم بن محرز وكان يقول إن امه شهدت صفين وقاتلت مع معاوية وطلبت دم عثمان رضي الله عنه وما احب ان لي بذلك حمر النعم

ويقال إن لزاجة ارضها لا تدع أن يعيش بها حية او عقرب

وعد لها البلاذري في المسالك والممالك ٢٩ اقليما منها اقليم حماة واقليم لبنان و١٢ كورة منها كورة اللاذقية وقال إن خراجها ٣٤٠ الف دينار مما يدل على عظم شأنها

اكثرهم مسلمون وفيهم قسم من الروم الارثوذكس وعماراتها واسواقها على الطرز القديم ما عدا قسما منها خارج البلد بني على الطرز الحديث وقد غرست الطريق الجديدة بالأشجار على احسن شكل ورتبت حديقتها العامة ترتيبا حسنا وجعلت قسمين قسم للرجال وقسم للنساء لكن بقية طرقها خربة لا سيما الطريق الذي يؤدي لجامع خالد

وحمص كانت قبل الحرب مركز قضاء تابع لحماة أما اليوم فهي مركز لواء تابع لدمشق ولواؤها متسع جدا واكثر قراها من العلويين وهناك قريتان سكانها من الشيعة الجعفرية وقيل لنا إن بعض الأسر الحمصية من الشيعة

وفي حمص نهضة حسنة لكنها دون نهضة حماة

ويصنع بها الأقمشة المنوعة وهي مثال حسن للصناعة الوطنية الراقية ويخيل لنا أنها فاقت اغلب المدن في هذه الصنائع النفيسة من اقمشة حريرية وقطنية على اختلاف اجناسها حتى أن بعضهم اتخذ مستودعا في بيته يعرضها على المشترين ويرسلها لكافة الجهات وقد أثث السلطان عبد العزيز قصره السلطاني من منسوجاتها

وفي حمص قلعة قديمة اصبحت الآن خرابا يبابا ومن أهم آثارها مقام خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي يعد من أعظم شجعان المسلمين وذوي الرأي والتدبير الحربي المدهش ومقامه هذا في جامع فسيح كبير متقن البناء والصناعة معظم يزار دائما ولا غرو فهو مثال البطولة العربية التي يفتخر بها وهناك مقامات أخر لبعض الصحابة والتابعين أكثرها لم يثبت على أن ياقوت يقول إن قبر خالد بن الوليد بالمدينة ايضا وليس في حمص

وفي حمص متنزه لطيف يدعى الميماس ويمر فيه نهر العاصي

يؤمه الحمصيون مساء للنزهة واكثرهم يصحبون طعامهم ويمكثون إلى ما بعد الغروب بثلاث ساعات وقد نصبت خيام بسيطة للجلوس بها لأن الهواء عاصف كما قدمنا فيصعب المكث في الفضاء ولو نُظِّم ذلك المكان اللطيف لكان من أحسن متنزهات سورية الجميلة لكنه مهمل غاية الإهمال .

وقد ألفينا رفيقنا الشاب راوية للشعر القديم والحديث ذكي الفؤاد حسن النكتة يونس جلبسه وعشيره وقد اجتمعنا في اليوم التالي ثم افترقنا فكانت وجهته دمشق ووجهتنا حماة ومما أسمعنا من نظم احد شعراء حمص المعممين قوله

عمتي البيضاء كانت سببا في ضيق خلقي
لعنة الله عليها منعت فسقي ورزقي

غادرنا حمص الساعة العاشرة عربية من نهار الثلاثا في ٣ صفر سنة ١٣٤٣ فبلغنا حماة نحو الساعة الثانية عشرة بعد قطع محطتي تلبيسة و كفربهم

حماه (١)

ذهبنا تواً إلى نزل جديد يطل على نهر العاصي وجسره العام فألفينا هذا

(١) قال ياقوت حماة بالفتح مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الاسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السوق حاضر كبير جدا فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها وتصب إلى بركة جامعها . . .

وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها واتقان عمارتها وحفر خندقها نحو مائة ذراع وهي مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره فقال

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

إلا أنها لم تكن قديما مثل ما هي اليوم من العظم بسلطان مفرد بل كانت من

النزل نظيفا متقناً مما لم نكن ننتظره في حماة وقد زاده حسنا ورونقا منظره البديع وما لبثنا أن جاء وقت العصر واجتمعنا بالاخوان من أفاضل الشبان

عمل حمص

وطول حماة ٦٢ درجة وثلثان وعرضها ٣٥ درجة وثلثان وربع وتعلو عن سطح البحر ٢٧٠ مترا فقط

قال ابن جبير عنها إنها غير فسيحة الفناء ولا رائقة البناء أقطارها مضمومة وديارها مركومة وقال إن لها جامعا كبيرا وثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بازاء الجامع الصغير

وقد عرفت أن ابن خرداذبه عدها بين أقاليم حمص

وورد ذكر حماة عدة مرات في الكتاب المقدس و كانت تسمى حمث الكبرى تميزا لها عن حمث الصغرى التي في كيليكيا وتاريخها قديم جدا ويظن أن بانيها الحماتي من ابناء كنعان و كانت مملكة مستقلة في زمن خروج الاسرائيليين من مصر ولم تكن مشهورة في ايام الفينيقيين وقد استولى عليها اليونان والرومان وفتحها ابو عبيدة الجراح صلحا لأن اهلها تلقوه مذعنين سنة ١٨ للهجرة فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج على أرضهم واقام مدة واتخذ كنيستها جامعا وتعاقب على امتلاكها الخلفاء واصابها سنة ٥٥٢ ﻫ زلزلة خربتها حتى أن معلم كتاب فارق المكتب وجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان جميعهم ولم يسأل أحد عن الأولاد روى ذلك ابو الفداء في تاريخه وهو الذي كان ملكا فيها وتاريخه هذا من التواريخ المعروفة ثم دخلت في حوزة العثمانيين بعد وقعة مرج دابق المشهورة والظاهر انها لم تدخل في حوزة الصليبيين

ومن اسرها القديمة المشهورة بنو قرناص وهم الذين كان بيدهم امر التولية على المارستان الذي بناه السلطان نور الدين محمود وهو بالحقيقة مستشفى للمرضى عامة وكان مصرفه اليومي على عهد متوليه الشيخ صفا العلواني ٨٨ ليرة عثمانية وقد اخرجت حماة من اهل العلم والأدب جماعة كثيرة يعسر استقصاؤهم في مثل هذه العجالة ومن اراد ذلك فعليه بتاريخ حماة للمرحوم الشيخ احمد الصابوني ومنهم الملك المظفر

في قهوة الصالون وهي قهوة متقنة جدا بنتها بلدية حماة على ضفة العاصي وجعل بها حمام للماء البارد جمع بين النهر والحوض و(الدوش) وقد قضينا ساعة هناك مع اخوان وخلان ممن عرفناهم من قبل ومن بعد كانت من ساعات الأنس والصفاء ومع أن حماة حماها الله لم تزل جل عماراتها على الطرز القديم فإنك ترى بها نشوة سرور وتبصر بأم عينك بلدة عربية الوجه واليد واللسان وهذه المدينة حارة صيفا لأن الجبال تكتنفها ويبلغ عدد نفوسها ٣٥ الفا جلهم إن لم نقل كلهم مسلمون والفينا في حماة نهضة ادبية مباركة تعد ثانية نهضة دمشق ونهضة علمية حسنة وقد اسسوا مدرسة وطنية سموها (دار العلم والتربية) وابتاعوا لها قصر أسعد باشا العظم الشهير وهو اخوا القصر الذي له بالشام ذاك ابتاعه الفرنسيون بنحو تسعين الف ليرة سورية وجعلوه دارا للآثار وهذا ابتاعه الوطنيون بنحو خمسة آلاف ليرة ذهبا وجعلوه مدرسة وطنية وقد تولى ادارتها

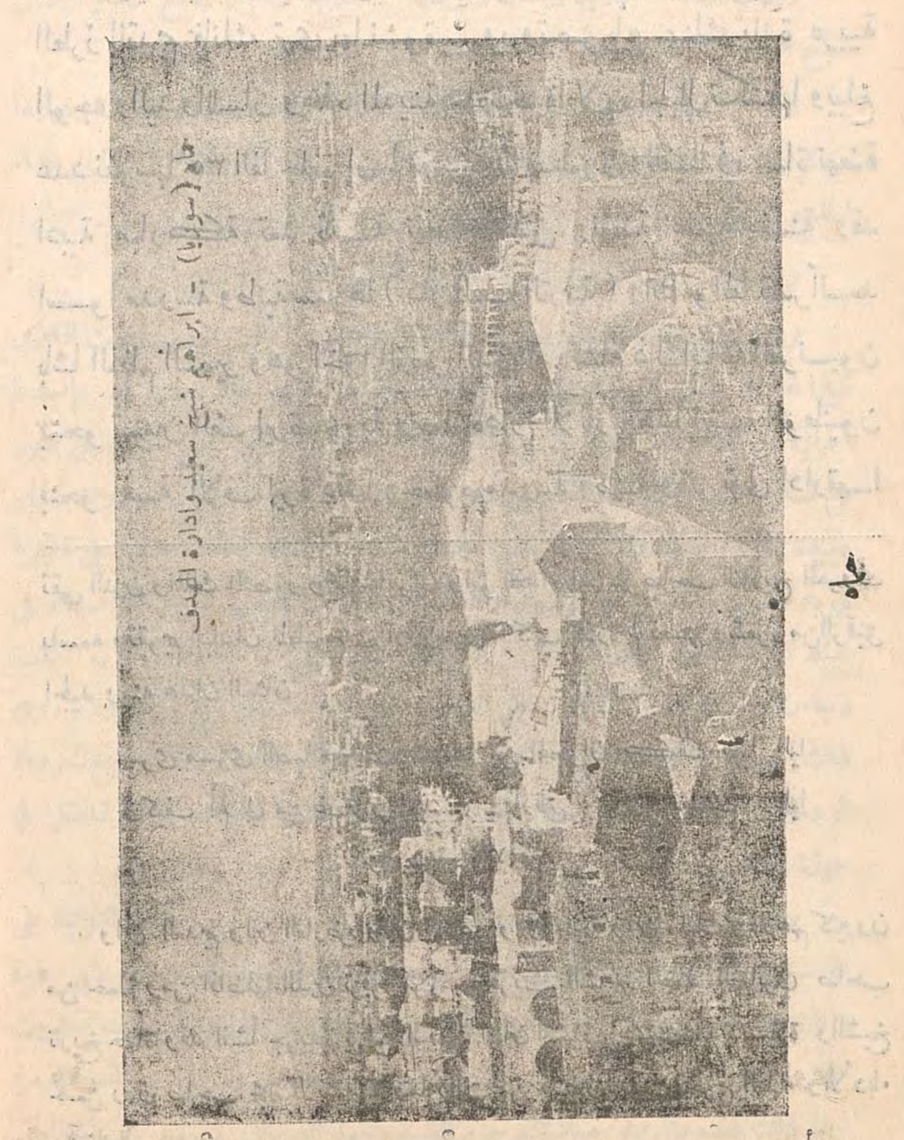
تقي الدين والملك المنصور وهما شاعران وابو الفداء اسماعيل صاحب التاريخ المعروف باسمه وتقويم البلدان المطبوع في اوروبا وله كتب نادرة لم تطبع وشعره من الرقيق الجيد ومنه هذان البيتان

سرى مسرى الصبا فعجبت منه … من الهجران كيف صبا إليا
وكيف ألمّ بي من غير وعد … وفارقني ولم يعطف عليا

توفي سنة ٧٣٢ هـ

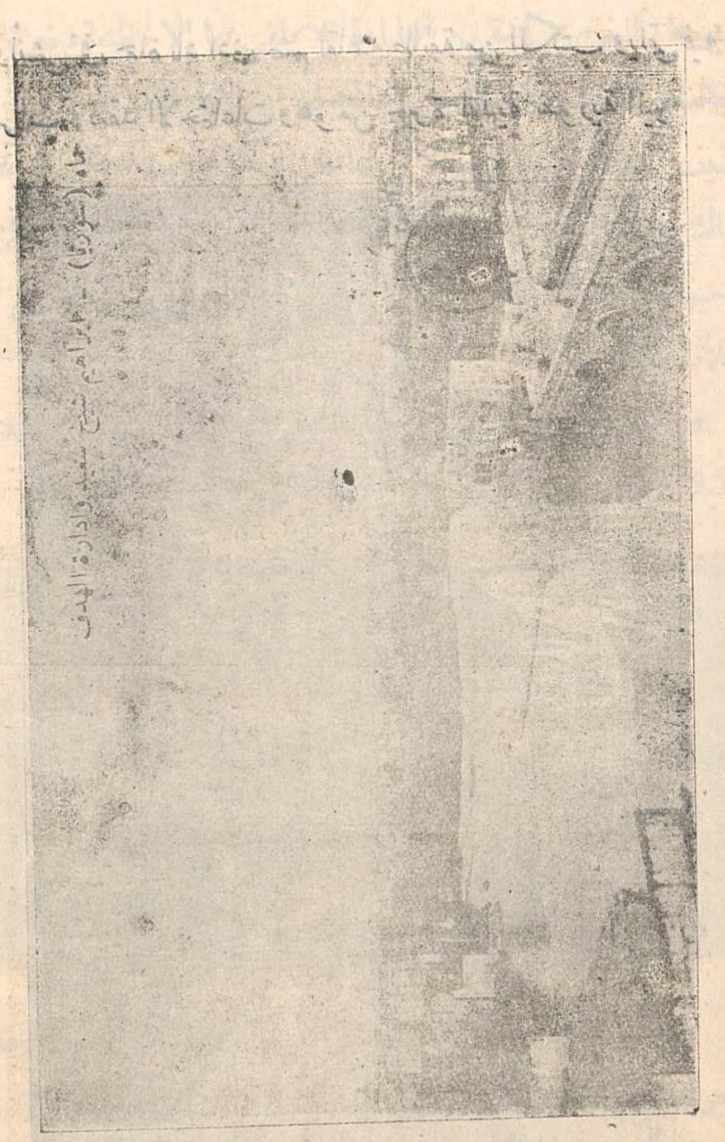
وابن العديم وابن الفارض وابن قرناص وابن حجة وابن مليك وغيرهم كثيرون من حماة ومن افاضلها الذين توفوا من عهد قريب الشيخ احمد الصابوني صاحب تاريخ حماة وقد انشأ جريدة يومية اسمها لسان الشرق عاشت مدة يسيرة والشيخ حسن رزق صاحب مجلة الانسانية وما زالت من قديم وحديث تخرج العلماء والأدباء والعظماء

الدكتور صالح قنباز وهو مشهور بوطنيته وفضله وبها كثير من نخبة المعلمين الاكفياء زرناها على عجل فألفيناها من احسن المدارس ترتيبا واتقانا وهي متقنة البناء والزخارف الشرقية التي تدل على تفوق الصناعة العربية وقد نقش على جدرانها وسقوفها ابيات من الشعر ومما جاء في تاريخها



وقل لمهندس الغرفات أرخ بقاعة أسعد تحلو قصور

١١٥٣هـ

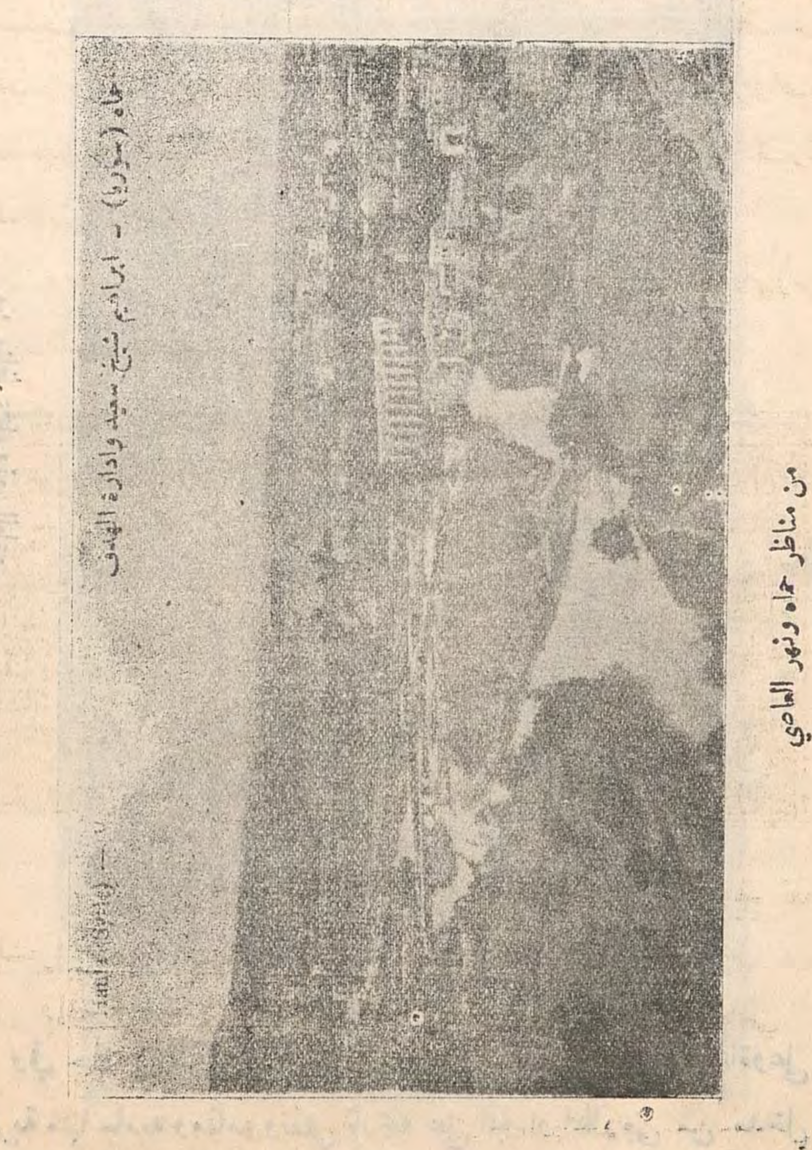


من مناظر حماه ونهر العاصي

وفي حماة مدرسة للأيتام جعلت مكان مدرسة ابي الفداء ملك حماة وعلى مقربة منها جامعه ومقامه ونقش تاريخه على الجدار الخارجي من مدخل

الجامع لكن بعض الكيلانيين هناك محا ذاك الأثر النفيس وطمسه لأنه جعل سلما لداره من ذاك الجدار

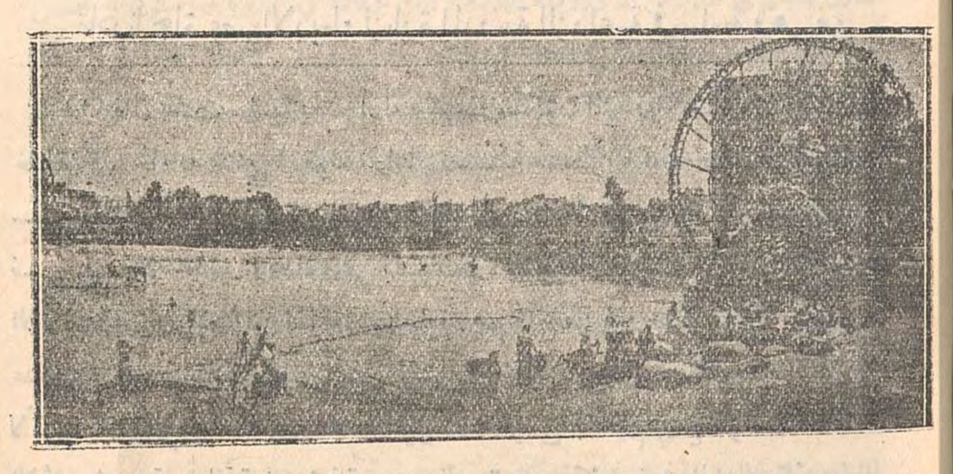
وأنشئ في حماة ناد ادبي ضم لقاعته طائفة من الكتب ويلقى فيه دائما المحاضرات وتعقد الاجتماعات وهو من خيرة اندية سورية اليوم



من مناظر حماه ونهر العاصي

ومجمل القول أن حماة ذات نهضة أدبية علمية يؤنس بها واصبح فيها كثير من المتعلمين وبينهم اصحاب شهادات من جامعات اوروبا العالية لكن حماة اليوم محرومة من الطباعة فلا يلفى بها إلا مطبعة صغيرة لاتفي بحاجاتها وكانت تصدر بها جريدة الهدف لوصيفنا النشيط السيد عبد الحسيب الشيخ سعيد وهو الآن صاحب مكتبة باسم مكتبة الهدف وهناك مكتبة ثانية اسمها (عنوان النجاح) وتصدر في حماة المجلة الزراعية لصاحبها عمر افندي ترمانيني من شبان حماه الناهضين ومجلته من خيرة المجلات الزراعية

وحماه اليوم مركز لواء لكنه ضيق النطاق ومتصرفها السيد نورس الكيلاني وهو من المعممين واسرة الكيلاني من اشهر اسر حماه



ونواعير حماة جميلة جدا لها منظر بديع وصوت لطيف وقد تفنن الشعراء بوصفها اي تفنن ومما قيل فيها

وإني على نفسي لأجدر بالبكا ... إذا كانت الاخشاب تبكي على العاصي

وقيل ايضا

ناعورة في سيرها ... قد اصبحت كالحائرة

قد ضاع منها قلبها فهي عليه دائرة

وقيل ايضا

ايها السائل عني سلبوا العادة مني
كنت أسقى واغنى صرت أسقي وافني

وهذه النواعير من صنع الرومانيين

ومنبع العاصي من اللبوة في بعلبك ودعاه البحتري في شعره الاورند كما سماه المعري الميماس فقال

إذا كنت ذا اب حصيف فلا تقس بجمصك والميماس دجلة والكرخا

ويتبع حماة قضاء واحد وهو قضاء (سلمية) وجله من الاسماعيليين

سلمية(١)

غادرنا حماة عصر الاربعاء لزيارة المدرسة الزراعية في سلمية وهي من

(١) قال ياقوت سلمية بفتح اوله وثانيه وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة كذا جاء به المتنبي في قوله (تراها في سَلَمْيَةَ مسبطرا) قال بطليموس مدينة سلمية طولها ٦٨ درجة وعشرون دقيقة وعرضها ٣٧ درجة وخمس دقائق وقد نسب لها عدة محدثين ورواة وهي بلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها الأربعة الآلاف وهي وتوابعها من الفرقة الاسماعيلية وهم فرع من فروع الشيعة ولا يتجاوز عددهم في سورية الثلاثين الفاوينسبون لاسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأنهم ساقوا الإمامة منه إلى ولده اسماعيل دون موسى الكاظم الذي هو أحد الأئمة الإثني عشر وقد افترقوا عدة فرق منهم البهرة وهم كثيرون في الهند وعقائدهم مثل عقائد الإمامية لا يخالفونهم إلا بسوق الإمامة بعد الصادق لكن قد تفرع منهم عدة فرق ومنهم هؤلاء الاسماعيلية ومعظمهم في سلمية وجهاتها ومصياف والخوابي في بلاد العلويين ولا يمكن الاطلاع على حقيقة مذهبهم لشدة تكتمهم وهم يحبون الشيعة ويتوددون لهم كما أنهم يصلون مع السنة ومن نظر اليهم و إلى اخلاقهم وعاداتهم لا يشك إنهم من اصل غير سوري والمرجح أنهم جاءوا من بلاد العجم في

اشهر مدارس سورية والمسافة بينهما زهاء ساعة ونصف في السيارة (٣٥ كيلومترا) لكن الطريق مهملة فاجتيازها ليس سهلا ونزلنا نحن ورفيقان لنا في المدرسة الزراعية وكانت آنئذ العطلة الصيفية بيد أنه كان هناك مديرها توفيق بك الأحدب وبعض مستخدميها فألفيناها حسنة الموقع والبناء تحيط بها ارض واسعة وكروم جميلة على أن بها بعض النواقص التي تتم تدريجا وقد شاهدنا بها أنواع الآلات الزراعية من قديم وحديث وقد جهزت بكل مايلزم للتلميذ الزراعي غير أن العدد الذي يقبل بها محدود وهو ستون تلميذا فقط وقيمة الرسم السنوي بها ستون ليرة سورية تدفع على ثلاثة اقساط

القرن الثالث وهم يشبهون العجم في بعض اخلاقهم وأزيائهم واسمائهم وحجاب نسائهم وهم صباح الوجوه لا سيما النساء ويقال إنهم يؤلهون آغا خان الهندي وهو شاب متعلم في المدارس الأوروبية العالية واكثر اوقاته في اوروبا ويرسلون له خمس أموالهم صحبة معتمد خاص يرسله كل عام وحدثني بعضهم أنهم يعبدون الفرج بأن يختاروا أجمل بنت في البلد فلا تتزوج بل تبقى للعبادة وروى ذلك صاحب دائرة المعارف وأكده من بعض كتبهم كما روى عنهم بتحفظ اجتماع الفتيان والفتيات بمكان مظلم كل عام ويقع الفتى على الفتاة فقد يقع والحالة هذه على اخته أو امه ويسمونه (عيد البقبيشة) والحقيقة أن كل ذلك رجما بالغيب فلا يمكن البت بأمر الباطنية أبدا لأنهم لا يظهرون كتبهم ولا يصرحون بحقيقة معتقداتهم ويتظاهرون بالإسلام فيجب الحكم عليهم بظاهرهم والله أعلم بباطنهم واسماعيلية سلمية يزورون قبر الإمام علي عليه السلام في النجف لكنهم لا يحجون وبينهم وبين النصيرية (العلويين) عداوة قديمة متأصلة وكثيرا ما قتل بعضهم بعضا وهم اصحاب حرف وصناعات فضلا عن الزراعة لذلك تجدهم بحالة اقتصادية حسنة ويندر أن ترى بينهم معوزا وقد اشتهروا من القديم بالنجدة والشجاعة والكرم وقد كان الحسن بن الصباح الملقب بملك الجبل منهم وكان الملوك الفاطميون اسماعيليين معتدلين وينتهي نسبهم لاسماعيل بن موسى الكاظم عليه السلام والمتداول اليوم على الألسنة اسم سلمية (سليمية) وهي تعلو عن سطح البحر اربعمائة متر واصل اسمها روماني على الغالب

وقد بنيت هذه المدرسة من مال الاسماعيليين لأن خليل باشا حينما كان واليا على بيروت صادر ستة آلاف ليرة مرسلة لآغا خان في الهند من الخمس وبنى لهم بها هذه المدرسة فكان ذلك من حسناته وذلك سنة ١٩١٠ م

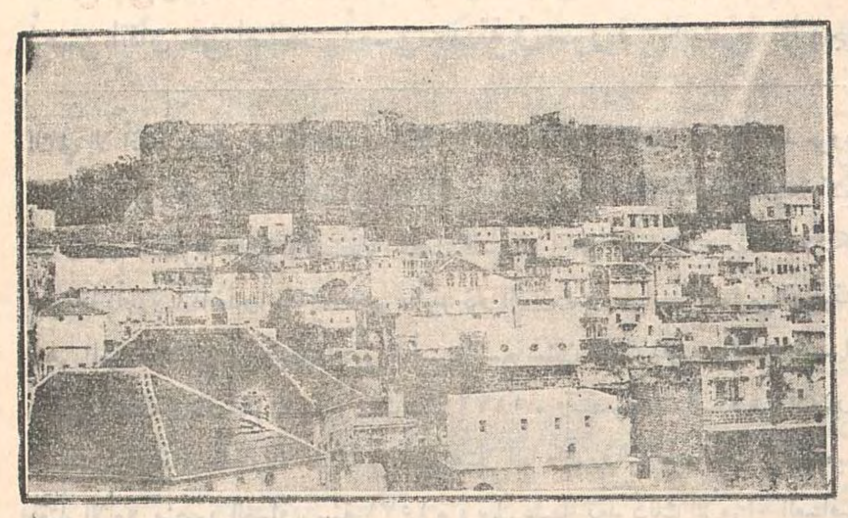
وقد سهرنا عند القيم (القائمقام) واسمه (ميرزا بك) وهو أشبه الناس خلقاً وخلقا بالمرحوم كامل بك الأسعد وقد لقينا منه كل لطف وزرنا سلمية في اليوم الثاني على عجل فألفيناها بلدة لطيفة وسكانها الاسماعيليون حسنو البزة صباح الوجوه ونساؤهم في غاية التستر والتحجب ولهم مسجد كبير غير منظم وبه مقام لاسماعيل يزورونه وفي سلمية حديقة للبلدية حسنة الترتيب وتبعد البلدة عن المدرسة نحو ربع ساعة سيرا على الأقدام والطريق جميل جدا

ثم عدنا يوم الخميس إلى حماة ومنها ذهبنا بالسيارة إلى حمص لنذهب مع القطار إلى طرابلس حيث وعدنا بدوي الجل أن نوافيه إلى هناك لنذهب معا إلى بلادهم جبال العلويين او بلاد العلويين أو دولة العلويين

أخذنا عربة ظهر الخميس وسرنا مسرعين إلى المحطة ولما وصلنا سار القطار فعدنا من حيث أتينا واستحسنا ارسال برقية لجريدة صدى الشعب لإعلام البدوي أنا نلتقي غدا بيد أنه لم يحضر حتى مساء السبت بعد ما خاطبناه بالهاتف وضحكنا من نفسنا لأنا اعتقدنا أن شاعرا حدثا يحافظ على وعد أو يفي بعهد وكم وكم خابت الآمال وخانت المرء الظنون

واجتمعنا هذه المرة بممدوح بك الصلح مدير البرق والبريد والمحامي اديب الموصلي وحاكم صلح حمص وغيرهم ممن رأينا منهم كل لطف وعطف وسرنا بعد ظهر الجمعة وقد شيعنا الأخوان الممدوح والأديب إلى المحطة وسار القطار بعد الظهر بساعة ونصف فقطعنا في طريقنا عدة

محطات وعرجنا على قرى ومزارع ومياه وانهار وسهول واسعة وبعد ثلاث ساعات أشرفنا على الفيحاء ، وسرنا بين تلك الرياض الغناء ، وابتهجنا بمرأى البحر الجميل



طرابلس الشام (١)

أقلتنا سيارة من المحطة إلى نزل رويال ذاك النزل البديع الذي

(١) قال ياقوت طرابلس الشام بفتح اوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام أيضاً مضمومة وسين مهملة ويقال اطرابلس وهي في الإقليم الرابع طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة وعرضها اربع وثلاثون درجة مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا

وقال جرجي يني الطرابلسي في تاريخ سورية هي فينيقية النشأة مع أن اسمها المعروف يوناني ولا يعرف لها سواه ولم تذكر في الكتاب المقدس واسمها هذا يدل على التثليث لأنه أنشئ مجلس شورى بها لرؤية مصالح البلاد العامة مؤلفاً من الصوريين والصيداويين والأرواديين وقد عرف أن اعضاء الصيداويين كانوا مئة وعلى مرور الزمن تألف من هذه المدن الثلاثة مدينة طرابلس او تريبوليس ولم يكن لها اهمية كبيرة في عهد اليونان والرومان وقد فتحت مع مافتح من مدن سورية في زمن الخليفة

يضاهي احسن انزال بيروت نظافة واتقانا فضلا عن طعامه الشهي ومناظره الجميلة فألقينا عصا الترحال وما استرحنا هنيهة حتى ذهبنا نبحث عن البدوي العلوي فلم نقف له على أثر وبينا كنا نتمشى في حديقة البلدية التي اتقنت أحسن اتقان حتى اصبحت أحسن حديقة في سورية - احتفى بنا رجل

الثاني إلا أنه لم يستقر امرها للمسلمين تام الاستقرار إلا في خلافة معاوية بعد حروب كثيرة مع الرومان وهاجمها الصليبيون لما كان ابن عمار واليا عليها واستحسنوها كثيرا إذ راقهم منظرها النضر واستطابوا قصب السكر الذي كان يزرع بها ولم يكن معروفا بأوروبا فأخذوا منه لبلادهم وأسر نور الدين امير طرابلس الصليبي (رايوند) وهو المعروف بالقومص وبعدما بقي في أسره تسع سنين افتدى نفسه بألف وخمسمائة درهم فأطلقه وعاد لطرابلس وذلك سنة ١١٧٢ م وتنصر تلك السنة من النصيرية القاطنين بالجبال المجاورة لطرابلس نحو ستين الفا وكان واليا عليها محمد آغا شعيب فقتله الأمير منصور العساف سنة ١٥٧٩ م وتولى عليها بعد ذلك الأمراء العسافيين وآل سيفا وغيرهم وسنة ١٦٢٤ م دخلت بولاية عربستان أي سورية التي انعمت بها الدولة العثمانية على الأمير فخر الدين المعني الذي لقبته بسلطان البر ثم شكلت إيالة يتولى أمرها وال يعين من الاستانة وحين التشكيلات الأخيرة جعلت لواء (متصرفية) ولما احتل الفرنسيون البلاد السورية بعد الحرب الكبرى بقيت على حالتها الأولى ثم حين اعلان لبنان الكبير بترت عنها اعضاؤها والحقت بمتصرفية لبنان الشمالي واصبحت هي حاكمية منفردة لم يتبعها إلا قرى قليلة وتشكيلاتها غريبة جدا وقد اضر بها هذا العهد الجديد ضررا بليغا فهي تئن منه أنين مريض انهكت العلة قواه وخرج من طرابلس عدة محدثين وعلماء وادباء يطول الكلام بذكرهم ومن مشاهير ادبائها ابن منير الطرابلسي صاحب الشعر الرائق ومن شعره التترية التي انفذهـا للمرتضى الزبيدي حينما ضبط مملوكه تتر والدهر مجموعة عظات وعبر وما احسن ما قاله في مناظرها ابن مامية الرومي

بأربعة سادت وساد مقامها ... على سائر الأمصار في البحر والبر
بابيض ثلج واحمرار كثيبها ... وخضرة مرج قد جلا زرقة البحر

لا نعرفه وسار معنا وذكرنا بأنه رآنا منذ سنتين في بيروت بإدارة الحقيقة وأصرّ علينا كثيرا أن ينقل امتعتنا لبيته لنكون ضيوفه ولم يتركنا إلا وأخذ منا موعدا أن نتعشى عنده في الليلة التالية وقد ابدى من كرم الوفادة ما دلنا على مكارم الطرابلسيين وكرمهم وهو الحاج هاشم وكيل مدير السجن وفي اليوم التالي أخذ امتعتنا لبيته الحاج جمال الملاح صديقنا الأديب الطرابلسي وهو واخواه مثال الأريحية والمكارم

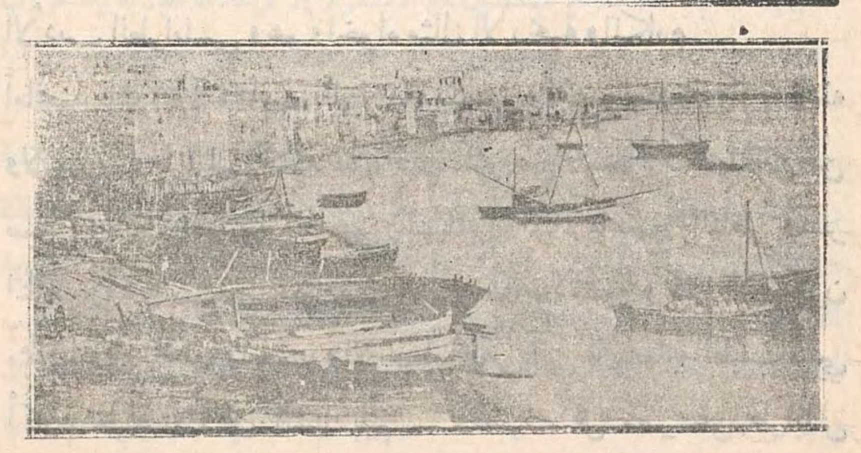
أما محمد بك شحادة محاسب اللواء فحدث عن وفائه مع اصدقائه وكرم وفادته ولا حرج . وطرابلس تشبه صيداء في كثير من الوجوه لكنها اتقن من صيداء واكبر وفيها من الحدائق والبساتين والمياه ما يبهج الناظر ويسر الخاطر وقد جمعت بين حضارة بيروت ونضارة دمشق وكيف لا تكون مثال الجمال الفتان والحسن والإحسان وهي التي قال بها ابو الطيب المتنبي

أكارم حسد الأرض السماء بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس

ومن الغريب أنه لا يوجد في طرابلس جمعية على نحو جمعية المقاصد الخيرية في بيروت وصيداء فهي مقصرة من هذه الجهة وبها عدة جوامع ومنها الجامع الكبير وهو فسيح جدا إلا أن الجامع الكبير بصيداء اتقن منه وهي مشهورة في علمائها وأدبائها من قديم وحديث وبها عدة صحف ومطابع وهي جريدة صدى الشعب لصاحبها الأمير اسعد الأيوبي من نسل صلاح الدين وهو معروف بوطنيته وقد حلت هذه الجريدة محل جريدة طرابلس التي كان يصدرها المرحوم محمد كامل بك البحيري ولها مطبعة الحضارة وجريدة الحوادث ولها مطبعة ايضا ومجلة المباحث التي يصدرها جرجي افندي يني وبها المكتبة الرفاعية التي تضم كثيرا من الكتب المنوعة وعلى التل قهوة بديعة المناظر تشرف على البساتين

والبحر ويجتمع هناك الطرابلسيون عصر كل يوم . وماء طرابلس كماء صيداء كثير الأكدار والأقذار جرّ اليها بقساطل من نهر ابي علي وهم ساعون بجلب ماء صالح للشرب

ويصل طرابلس بالمينا حافلة (ترامواي) يسير على الخيل وهو اول عمل وطني قام في سورية وما زال سائراً بنجاح وارباح



والمينا بلدة كبيرة واقعة على شاطئ البحر حسنة المنظر وبها معظم التجار المهمين

ولبلدية طرابلس عناية كبيرة بإصلاح البلدة لاسيما الشوارع فإنها جادة في رصفها بالإسفلت لكن بلدية المينا مهملة جدا

ونظرا لكثرة الزيتون بطرابلس وحواليها يصنع بها الصابون الجيد ولها منه مورد عظيم جدا وبها عدة مصابن

وطرابلس احدى المدينتين الممتازتين ولها حاكم يعينه المفوض السامي وحاكمها اليوم عبد الحليم بك الحجار وهو من اقايم الخروب شاب ذكي متعلم في مقتبل العمر وعدد نفوسها ٣٦ الفا جلهم من المسلمين السنيين

وفي باب التبانة قسم قليل من العلويين والظاهر أن باب التبانة مقر الشيعة من القديم لأن في المسائل التي أجاب عنها السيد المرتضى المسائل التبانية وقد كانت في بعض القرون مدينة جل سكانها شيعيون ومنهم صاحب التترية المشهورة ومن غريب ما رأيناه في طرابلس إعراضهم عن مساعدة المجلات العلمية (لا سيما إذا كانت شيعية) فإن أحدهم قد يولم لك وليمة تحتاج لأكثر من قيمة اشتراك المجلة مع انك تفضل الاشتراك على الطعام (وللناس فيما يعشقون مذاهب) ولطرابلس مورد لا يستهان به من الليمون لكنهم لا يعتنون في غرس الانكدونيا مثل الصيداويين وبين الصيداويين والطرابلسيين تشابه في الأخلاق والعادات واهل طرابلس يعتقدون كثيرا بكرامات الأولياء . ومع اتصال طرابلس بحمص بسكة حديدية واتصالها في بيروت والعلويين بطرق معبدة تسير عليها السيارات فتجارتها متأخرة والحالة الاقتصادية بها لا تسر بل تسيء . ومن طرابلس المرحوم الشيخ حسين الجسر صاحب الرسالة الحميدية وولده الشيخ محمد الجسر ناظر المعارف اليوم في لبنان وعبد الحميد افندي الرافعي الشاعر المشهور والشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي وغيرهم من العلماء والادباء

وشمالي طرابلس مكان لطيف يدعى البداوي فيه بركة ماء كبيرة ذات مياه صافية وهي مملوءة من السمك الأسود من صغير وكبير ولا يصطاد هذا السمك الطرابلسيون لأنهم يعتبرونه مقدسا ومن اصطاده يصاب بآفة لذلك تراه آمنا مطمئنا لا يستوحش من الناس لكن لما جاء العسكر الانكليزي اصطادوا منه ولم يكفوا عنه حتى شكاهم الطرابلسيون لقائدهم فمنعهم لكنهم لم يصابوا بأذى من اكله

زهرة الفل

مذ سرى في الصبح نفاح الخزامى شاقها الروض فزارته لماما
انا اهوى زهرة الفل وقد علّقت ما بين نهديها وساما

***

ما بقيتِ زهرة الفل على صدر هند لست تخشين ذبولا
فاخري زهر الربى حيث غدا لك ما بين دراريه مقيلا
وانشري رياك عرفا طيباً وابعثيه لي مع الريح رسولا
كلما الطير تغنى سحرا نبه الطير إلى الوجد عليلا
هند رحماك اذكري عهد امرئ في الهوى لم يعرف الصبر الجميلا
كيف يستطيع سلوا وإلى قلبه قد وجد الوجد سبيلا
كلما هاجت به اشواقه (شرب الدمع وعاف السلسبيلا)
كلف بالغيد يزجي عيسه لمحل هم به امسوا نزولا(؟)
ومتى جنّ عليه ليله غير نجم الأفق لم يصحب دليلا

***

شارك الورقاء في الحانها مذ غدا يألف في الروض الحماما
بعثت من لحنها الوجد إلى قلبه العاني فزادته هياما

***

هاجه لما تغنى سحرا بلبل الدوح على اغصانه
كلما ردد الحان الهوى يطرب الصب على الحانه
هو يشدو وانا ابكي جوى كلنا يبكي على اوطانه
كيف لا نشكو تباريح الهوى وكلانا ضلّ عن خلانه

قد تقاسمنا الجوى ما بيننـا وتعاهدنا عـلى إعلانه
فارحمي يا هند صبا مدنفـاً وفؤادا ذاب من اشجانـه
قد كتمت الحب جهدي زمناً وانا اقوى على كتمانه
واراني سوف اقضي في الهوى والصبا ما زلت في ريعانه
فإذا مت اذكريني واندبي عاشقـا أدرج في أكفانه

***

اذكري ياهند عهدا بيننـا إنما العاشق من يرعى الذماما
وليال سلفت في حيكم قد قضيناهن ضما والتزاما

***

عاشقان التقيـا في روضـة نبتها يزهو عقيب المطر
كنت طفلا وهي كانت طفلة يتصابانا الهوى عـن صغر
قد تشاكينا الهوى ما بيننا مذ تعاهدنا بظل الشجر
أنا عرضت فؤادي للهوى مذ تعشقت ذوات الأزر
اقتفـي اثر الغواني دائبـا والغواني يقتفـين اثري
انا من يصبيه نفاح الصبـا كلما هب قبيل السحر
إن تراني ذاكرا عهد الأولى هجروني لا تسل عن خبري
نفرت عني الغواني دائما هائم لم اقض منها وطري
هل ترى روض التصابي صوحا ام ذوى زهر شبابي النضر

***

كلما الطير تغنى سحرا اوسرى في الصبح نفاح الخزامى
يرسل الدمع محب لم يزل يحتسي خمر الهوى جاماً فجاما

الصوانة عبد الرؤوف محمود

ما هو النشوء والارتقاء *

لا تزال كلمة النشوء والارتقاء حتى يومنا هذا تؤثر في البعض وتزعجهم عند سماعها كما كانت في عهد داروين عند ما اعلن نظريته في «اصل نوع الانسان» من قبل خمسين سنة حينما حمل رجال الاكليروس «وكوڤيه» على «لامارك» و«سانت هيلار» وعلى نظريتهما في اصل الانواع وتحويلها. تلك النظرية التي شغلت افكار جهابذة العلم المكتشفين. ولا تزال باعثاً معنويا على الجدال العنيف والاختلافات البينة بين طبقات العلماء لأنها علمية محضة. بحث تطاولت عليه الاعناق، وانفقت في سبيله الملايين، وذهب بنفوس كثيرة، فلم ينتج شيئاً إلى الآن الا آلاماً وخيالات وثرثرة فارغة. البحث هو في مشكلة واحدة وهي معرفة اصل الإنسان وللنشوء والارتقاء تفاسير شتى ولكنها جميعها ليست واضحة ولم يفسرها بعد احد بطريقة مفهومة، وما تشابه اثنان في تفسيرها وشرحها بل كل يفسرها بحسب هواه ومذهبه وقد أُلفت مئات الكتب للبحث في هذا الموضوع فلم يوفه حقه ولم يشبعه احد بحثا جليا حتى الآن بطريقة عامة نفهم بها معنى النشوء والارتقاء كما ينبغي. فكيف يحق لنا أن نقول أن هناك من يعتقد نظرية النشوء ومن يعاكسها إذ لا اتفاق على معنى هذه النظرية حتى بين من يعتقد صحتها وكيف نستطيع القول بأن الذي يعتقد صحة هذه النظرية على يقين ومعاكسه على ضلال عند ما يفسر كل باحث رأيه تفسيراً غامضا تاركا لنفسه العنان، سواء فهمها أو لم يفهمها غيره لقد اتفق بعض العلماء الذين درسوا الكائنات الحية درساً مدققا مبدئيا

* لأحد الكتبة الأميركان وقد عربها صاحب التوقيع عن الانكليزية

على معنى النشوء . فهؤلاء يعتقدون ان النشوء هو تطور ادوار الحياة وهذا التطور مبني على ملاحظات واختبارات وتجارب عديدة وجدوا انها تعلمنا سير الحياة في الجسم الحي ... قال احدهم اسمحوا لي ان اشرح لكم هذا التصور بطريقتي انا لا بطريقة غيري لأنا نحن معشر العلماء والفلاسفة الطبيعيين نختلف في طرق شرحنا وتعاليمنا وكتابتنا وعليه لكل منا طريقة خاصة في التفسير والتعبير واليك هذا التصور العظيم .

انا جالس الآن في حرجة من الصنوبر اكتب والنسيم يتلاعب باوراقه اللطيفة قرب المحيط العظيم . هناك بعض المناجب والحشرات والعصافير على الاشجار بعضها يغرد وبعضها يثب والبعض الآخر يأكل وهناك في احواض المد والجزر على الشاطئ مخلوقات بحرية متنوعة الاشكال والاوصاف كثيرة العدد جميلة المنظر . فكل الخنافس والطيور وناقرات الخشب وديا سم البحر لها هيئات مختلفة ومظاهر متباينة كل له ميزة في الشكل والعادة وكل يتنفس وكل يحصل على طعامه ويحمي ذريته من مفاجأة العدو ويجلب لها الطعام . فهي وإن اختلفت مظاهرها تتفق اساساً في القصد والعمل . وكذلك الأشجار والادغال والحشائش والأزهار اللطيفة على هذا التل والنباتات البحرية المكلسة المدهشة . فكل هذه الحيوانات والنباتات تعيش واغلبها لا تعرف أنها عائشة فهي تضع صغارها وتبرز متممة سلسلة حياة

وها أنا ذا الآن بين الاطيار والفراشات في الحرج وطيور النورس الجميلة وهي تغطس في الماء فترجع حاملة سمكاً في منقارها وإلى جانبها اسود البحر الهائل وبين الاعشاب البحرية التي التقطها من الشاطئ . أراني حيا يرزق مثل هذه الأعشاب والحيوانات والنباتات بشكل مختلف

وعادات خاصة . اتنفس دون عناد اي اتنفس دون أن اجرب ويدور دمي في جسمي دون ان اشعر بدورانه ، ولكن اطعم نفسي واغذيها واحميها من الطارئ وادافع عنها يوم تلقاني عصابة في طريقي إلى القرية على رأس التل واحافظ على ابني الصغير إذا كان لي واحد ليكون الحلقة بيني وبين احفادي الذين يثبتون أن الحياة سلسلة متصلة بعضها ببعض وهكذا حالة النباتات والحيوانات .

يتضح إذاً ان النشوء والارتقاء هما نوع من التفسير والشرح عن مخلوقات متعددة مختلفة الأنواع والأشكال والعادات متقاربة في طرق العيش وجزء من شرح التشابه والفروق النسبية الحاصلة بين الحيوانات والنباتات واخيرا . اقول بلا ريب ووجل بأنه ضرب من ضروب ايضاح التشابه والفروق النسبية الحاصلة بيني وبين بقية المخلوقات ، ولكن النشوء والارتقاء لا يراد به كل هذه الأشياء بل يراد به انه جزء من شرحها وتفسيرها وليس المعنى أن هذه الاشياء المذكورة هي النشوء بعينه بل النشوء هو الحياة نفسها وسبب تنوعها وتطبيقها على كل نوع من الحياة على حياتي انا . والنشوء ايضا يكون شرحا طويلاً او مختصراً لكيفية وجود الحياة ، والمادة ، والقوة ، ووجود أي شيء ، وما هو الباعث لوجوده وهو يوضح لنا كيف وجدت اسباب نهائية لا برهان عليها ؟ وكيف تتصرف هذه الأحياء وهل هي مثلما وجدت ؟ فهو شرح لطريقتها وليس سببا اوليا . وبتحديدي هذا لا اكون قد حددت النشوء والارتقاء بكل معانيه لأنه اوسع مما ذكرت لذلك اراني قاصراً عن التعبير عنه بالكلام إذ أنه يتضمن شيئاً وافراً عن الطبيعة وكذلك عن الإنسان وعن تبادل بغير شعور او قصد وعن سوء النا عن الحياة وعن كيف ؟ ولماذا ؟ والنشوء نظرية

واسعة لا نهاية لها ، تبحث عن تفسير الحياة وارتقائها وتطورها وهي مظهر عظيم تبعث في النفس آمالا كبارا في السير والكمال . والنشوء العضوي هو نشر خطة الحياة وما فيها من امكان التقدم والرقي ، فهي تسير طبيعياً ومنطقياً من البسيط إلى المركب ، من العموم إلى الخصوص من الحضيض إلى الأوج ، ومن ذات الخلية الواحدة إلى الإنسان . ولكن هل تصير احسن من الإنسان يوماً ما ؟ يصعب هذا التصديق لأننا لا نعرف شيئا عنه وكل ما نعرفه هو عما وجد ويوجد الآن فالمستقبل يشعر بنفسه ولكن قلما يظهر نفسه تماما قبل الأوان . فالإنسان اليوم هو على درجة في سلم النشوء ولكني لا ارى انه من المستحيل وجود جنس من البشر اعلى درجة منا ، فالطبيعة تثمر لنا بلا انتهاء والنشوء ايضاً ليس له انتهاء .

اعني بالنشوء الاستمرار ، واعني به اصل الجديد من القديم والتغير ، والنمو التدريجي ، والنسبة التكوينية ، وقرابة الدم وهذه الأمور كلها تؤلف سلسلة حسب ونسب واحدة فكل مخلوق حي سواء كان حوتاً كبيرا هائلا ، او دويبة صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة ، او نمراً يسرح ويمرح في الأحراج فرحاً مبتهجا ، او طفيلياً صغيراً يعيش على جلد (النمر) او نسراً كبيراً يحلق في الفضاء يفتش عن فريسة يقتنصها او يلتجئ اليه ، او سربا من الفراش يرفرف مساء يوم حول المصباح الكهربائي تارة ويرقص قرب شاطئ البحيرة اخرى او شجرة شامخة متعالية متفاخرة بعظمتها في حرج كبير وقد مضى عليها من القرون ثلاثون ، او طحلبا على وجه البرك في البساتين او الواحات

فكل حي كبيرا كان او صغيراً ذا حياة طويلة او قصيرة ، فما لا

نشيطاً اوهادئاً ساكناً من ذوات الخلية الواحدة او من ذوات الالف هو من المخلوقات التي تتشابه وتحتاج كلها إلى معيشة مطابقة للمحيط الموجودة فيه ولها عادات وفوارق ليست لغيرها .

مهما اختلفت مظاهر الحياة فإنها تنحصر في حدود منتظمة دقيقة وإذا لم تتجاوز هذه الحياة حدها تلعب ادوارا كثيرة فتوشي نفسها وتزخرفها وتتغير حالتها من هيئة الى اخرى وينمو فيها الجذع بعد الآخر ولكنها قطعة واحدة من صبرة واحدة .

فالبحث في النشوء هو بحث خاص في تنوع الحياة المنتج عن الذاتية وكيفية حصولها ، فهذا التنوع من خواصه تشعبات الفروق الحاصلة من كل حيوان ونبات وتشعب تلك التشعبات والفوارق تدريجاً كبائر الأنظمة ، و(العائلات) ، والفصائل وفي الفروق الحاصلة بين اختلاف الاجناس والأنواع حتى في افراد الفصيلة الواحدة التي تصل الفروق فيها إلى حدها الأدنى ، وقلما تجد مثلا نبتتين متشابهتين او حيوانين متشابهين تمام التشابه في الكون ولا في ذرية من والدين واحدين حتى ولا توأمين متشابهين فدرجة هذا النوع وتحديده يتوقف على درجات نسبة الدم ونسبة المحيط وتأثير هذين العاملين على تكوين كل فرد واسلوبه سواء بحجمه ، ولونه ، وعادته ام بطول حياته

والنشوء والارتقاء هما الشرح الكافي لغزارة انواع الحيوانات والنباتات وتطبيقها المدهش للمحيط المكتنف بها وقد ذكرنا ، ورتبنا ، وسمينا نحو ٥٠٠،٠٠٠ من انواع الحيوانات الحية و ٢٥٠،٠٠٠ من انواع النباتات الحية ولا بد انه يوجد انواع اكثر من هذه الحيوانات والنباتات التي لم تذكر بعد و كل من هذه المخلوقات يعمل عمله ويطبقه على نفسه سواء كان

في تكوين الجسم، والجوانح، والحواس العضوية، والعروق، والجذوع، والاوراق، والازهار، والبذور، او في كيفية تحصيل الطعام، وفي الهرب من العدو والانتصار عليه، في بناء المنزل، والولادة، والاعتناء بالصغار، والنمو، وتسميد الازهار وتلقيحها، وتبزير البزور.

ما عظمة الطبيعة ومجدها إلا تنوعها واللاذُّ في الطبيعة هو معرفة العوامل التي تنشأ من عظمة تنوعها ومن عظمة التشابه الاساسي المجزء من هذا التنوع. كيف؟ ولماذا؟ سوءالان يلعبان في رؤوس علماء النشوء والارتقاء لعب الخمرة في الدماغ ولاجواب لهذين السوءالين إلا في النشوء والارتقاء وبما أننا من الطبيعة والى الطبيعة فالنشوء والارتقاء هو جواب كاف لكل اسئلتنا عن أنفسنا. لماذا تشبه اشياء كثيرة في اجسامنا ما في اجسام غيرنا من الحيوانات؟ لماذا تمر علينا ادوار كثيرة كما تمر على سائر المخلوقات ذات الفقرات من حين التلقيح إلى النمو الكامل؟ ولماذا تعلمنا رمم اسلافنا وبقاياهم التي نجدها بالحفريات فنرى بأم العين أن الإنسان السالف كان دماغه اصغر من دماغ انسان اليوم فكاه اغلظ واكبر وظهره اكثر انحناء وغير مستقيم كظهر انسان اليوم؟ فلاجواب لذلك إلا النشوء والارتقاء.

أعيد ما قلته سابقا إن النشوء والارتقاء ليس الجواب الكافي لأسئلتنا عن أنفسنا حتى ولا عن ادراكنا وحاسأتنا وتصورنا، وشعورنا، وارواحنا ولكن هناك بعض مسائل نبحث عنها وهي تبحث عن اصل الحياة التي نحن قسم منها وتبحث عند نهايتها ايضا وعند ما نحاول أن نفهم حقيقة انفسنا فلانقدر أن نرى سوى اننا جزء من جزء من الطبيعة. فالبيولوجي يقول أن النشوء والارتقاء كناية عن ظن مبدئي تفسير لكيفية طريقة الحياة واغلبنا يعتقد انه كناية عن ظن مبدئي بأن اصل الإنسان من القرد

فلهذا تقشعر الابدان عند سماع هذه الجملة الرهيبة التي تصطك منها الركب وتقشعر منها الابدان ولكنها تقع الطف على آذان السامعين إذا قلنا إن الإنسان هو من فصيلة القرد وذلك « بالتحويل النوعي » بتحويل انواع النباتات والحيوانات من انواع اخرى ، وبشرح تطبيق الزهور للنحل ، والطفيلي لمضيفه و كل المخلوقات للمحيط المحدق بها . ولكن لا بد من القول بأن النشوء ايضا متعلق بأصل الإنسان ونسبته للطبيعة وهذا ايضا ما يزعج خاطرنا نوعاً ما وعلى اثر تأثرنا هذا ننظر إلى هـذه النظرية نظرا اقصى من ذلك إذ يتجسم لنا نموها فنراها ترمي إلى ابعد ما نراه ماسكة زمام الإنسان بكل علاقاته على عظم عقله واتساع دائرتـه ، وتفننه باختراعاته ، واكتشافاته نراها تحط من شغف الإنسان وحبه لكل الاشياء إلا حبه لغريزة التناسل ، ومن حسناته إلى سيئات ضد منتخبات الطبيعة من شعور بشري إلى نتيجة منحطة تؤدي إلى تكون زائد في الدماغ ، من طموح بشري ، ووحي ، وإيمان روحي إلى تسلط يتكون في العقل فيؤثر على الذكاء المتوقد والممتع بالتعاليم العلمية الموجودة ضدها وانا على يقين بقولي أن كثيراً من معتقدي النشوء ينظرون إلى النشوء نظري هذا . فاقوال بعض المتشائمين ، ومبغضي البشر ، وبعض الحيلة الحاذقين ، تمثل لنا نظريات النشوء والارتقاء مشوهة اما نحن فننشر ونذيع بتأثر شديد وغيظ اشد ونبسط دعوانا ضد النشوء والارتقاء ومع تحديدي هذا لم اقل شيئا عن النشوء من وجهته الفلسفية الواسعة . لأن الخصام على مثل هذا الأساس غالبا محصور في دائرة صغيرة وهي دائرة الفلاسفة وعلماء ماوراء الطبيعة ولم اقل شيئاً على نسبة النشوء إلى الدين اولا لأنه من الصعب أن نعبر عن حقيقة النشوء وثانيا لأن النسبة الحقيقيه طفيفة جداً وامـا

النسبة الاصطناعية العظيمة المقلقة التي استرعيت غير مكفولة بسند حقيقي فالنشوء يختص بفصيلة واحدة تتعلق بحقيقة البشر ، والدين فصيلة منفردة لادخل لها بالنشوء . فالنشوء يختص بالإنسان كحلقة من سلسلة موادحية وليس بمستودع ارواح ونفوس وحنين ديني وايمان طاهر وكيفما تصورت هذه العوامل فيهم فهم لا يعرفون عنه شيئا حتى ولا احد من اخص الاختصاصيين

إذاً النشوء شرح باطل لكل البشر ولا ينطبق على بقية الاحياء ولا يعلمنا ولا يذكر لنا شيئا عن الاسباب الاولية ، هو تصور عظيم جدا تصور اسلوبي او ذو طريقة لتصرف المواد الحيوية على الأرض في الحالات الطبيعية والكيماوية . هو شرح لسلسلة نظام الحياة ، هو شرح لنمو اختلاف الحياة الاساسية بالمطابقة ، هو شرح لمظاهر الحياة المتعلقة بالنوع والوراثة والانتخاب ومطابقة المحيط . هو ايضا شرح ينطبق على باقي المخلوقات في نفس الاسباب .

فالنشوء لا يذهب في بحثه ابعد من ذلك ولكن ما هو الباعث لتأثرنا عند سماعنا شيئا عن هذه النظرية وخصوصا بعد ان عرفها العالم بأسره . فتقدم كل العلوم العصرية ونموها ومنافعها الجمة وتطبيقها على حياة البشر مؤسس على حقيقة النشوء ، فالنشوء إذاً يتعلق بعلم الهلك لا بعلم الدين لأن النشوء لا تعلق له بالكتاب المقدس وغيره من الكتب الدينية بل (بأصل النوع) اي بشرائع متندل وبدليل الحفريات المستخرجة من الأرض وبحقائق علم التشريح القياسية وبعلم الجنين وبالرسوم وبمعيشة النباتات والحيوانات على الأرض .

ليس الذي يعتقد النشوء والارتقاء مضاداً للمسيح وهو في الغالب رجل تقي يخاف الله باعتباره حقائق محدودة ولكنه يبقى على خط مستقيم ضد

غوامض غير مكشوفة وغير معقولة كالنشوء مثلنا فكل معتقد بالنشوء يجب ان يعرف المظاهر البشرية التي لم تفهم بعد فترى بينهم الضمير الحي والعاطفة البشرية والمحب للناس والمحسن والمؤمن والطموح الخ . وربما يؤمن بالله وربما لا يؤمن واعتقاد النشوء لايعني الإيمان بالله او عدم الإيمان فاعتقاد النشوء والإيمان بالله هما شيئان منفصلان غير متضادين . هناك مجال واسع للجدال في النشوء والارتقاء وحقائق مشكوك فيها لأنها غير مثبتة بالبراهين وهناك نزاع آخر بين علماء النشوء عن معرفة ما يرثه من الأسلاف ويورثه الاحفاد نسبة لتأثير المحيط الحالي على هذه العوامل . وهناك ايضاً نقط كثيرة تحتاج إلى الأخذ والرد . وهناك ايضاً مجال للبحث في كثير من المسائل الدينية لا تتفق عليها كل الآراء فاختلاف علماء النشوء امر طبيعي وكذلك اختلاف طبقات الاكليروس ولاتخلو الفائدة من المجادلة بين كل اثنين ولكن الجدال بين علماء النشوء والاكليروس جدال باطل إذ لا فائدة منه وعاقبته وخيمة تؤدي إلى الخصام والشقاق

الجامعة الاميركية عبد الكريم عسيران

الأخلاط الستة

غضب كسرى على بزرجمهر فحبسه في بيت مظلم مصفدا بالحديد وبقي عدة ايام على هذه الحال وهو مشروح الصدر ناعم البال فسئل عن ذلك فقال إني اصطنعت ستة اخلاط وعجنتها واستعملتها وهي التي ابقتني كما ترون فقالوا صف لنا هذه الأخلاط فقال

الخلط الأول	الثقة بالله عز وجل	الخلط الثاني	كل مقدر كائن
الخلط الثالث	الصبر خير ما استعمله الممتحن		
الخلط الرابع	إذا لم أصبر فماذا أصنع ولا أعين على نفسي بالجزع		
الخلط الخامس	قد يكون ما لم أصر اليه أشد مما أنا فيه		
الخلط السادس	من ساعة الى ساعة فرج		(فبلغ ذلك كسرى فأطلقه)

مرض الزعيم لونه

قرأت مقالة بالافرنسية عن مصير النفس وماوراء القبور حسب معتقدات بعض قبائل برابرة القطب الشمالي للعلامة جاك لندن الانكليزي مدرجة تحت عنوان مرض الزعيم لونه فرأيت ان اعربها لتدرج لعل بها فائدة للقراء :

في احدى ليالي القطب الشمالي بعد أن مضى الهزيعان الأول والثاني هبت ريح صرصر عقبها ضباب امتد على طول منفرجات تلك الارجاء وعرض منبسطات ضواحيها وصفر الزمهرير بين افنان الأشجار بألحان حادة هي اشبه بأنين ثكلى أو تألم مضنى أو حنين واله فأخذتني قشعريرة في جسمي فاسرعت يصحبني شيخان هرمان من قبائل الغاموغامو برابرة ذلك القطب كانا قد قطعا من هذه الحياة مرحلة بعيدة الشوط وجلسنا قرب نار حمي لهبها واشتد وقودها وارتفع لها دخان كثيف انتقي به قرصات البرغش الهائل الذي يكثر في تلك الاصقاع على شواطئ نهر اليوكون ومستنقعاته رغم البرد القارس هناك . وكان نهر اليوكون هذا ينساب متثنيا كالاراقم بين الاشجار الغضة الوارفة الظل فيهز بترقرق مائه الهادي اشباح اصول هاتيك الاشجار . وكان على مقربة عشرين خطوة من مضارب قبيلة البرابرة لجهة اليمين . وكانت الشمس لجهة اليسار ترى على تلك الروابي المجاورة قاتمة اللون ترسل علينا اشعة صفراء حمراء كأنها النحاس المحمى أو كأنَّ حرّتها جمرة اطفئ ثوران لهبها فأخمد تسعرها . وظلت تحيط بهاهالة من نور ضئيل قاتم يولد النظر اليها سأماً في النفس وانقباضاً في الصدر . وكان قد مضى من ذلك الليل الهزيعان الأول والثاني ومـا كانت الشمس لتغيب هذه الليلة ولا في عدة ليالي اخرى تعتقبها .

والشيخان اللذان كانا يبعدان عنهما البرغش ويطردانه بمهارة مدهشة لم اكـن لأقوى على مجاراتهما بها كان الزعيم اونه حاكم القبيلة سابقاً وموتساك زميله وسميره وشاهد مواقع حروبه وغزواته ، وهما الآن مستودع تفاصيل حوادث القبيلة ورواة حروبها وحفظة انسابها . وكانا آخر جذع لتفرعاتها واقدم ارومة لناشئتها . ولمـا كانت هذه الناشئة بدأت بدور شبيبتها من عهد غير بعيد تعمل في المناجم المتعددة

هناك لاستخراج الذهب الكثير ، والفضل بذلك لبعض الشعوب المتمدنة التي اخذت تطرق ببواخرها التجارية والكشافة شواطئ جزرهم حيناً بعد حين ، لم تعبأ برئاسة قديمة رثة بل تمردت عليهما كاسرة نير التأله المستعبد ونبذت كل خضوع لهما جانبا . إذ لم يبق من يهتم بتقاليد موهومة كهذه وهل تقوى ترهات واهنة واهية بربرية على الوقوف ازاء زجاجات الخمور السوداء التي كان ينقلها اليهم ويجود بها عليهم الإنسان الأبيض لقاء بعض سويعات من العمل او بعض جلود الفراء . ! .

اجل إن عصر البخار الراقي العجيب قد وضع الحد الفاصل لنهاية كل سحر وتكهن بربري . ولذا كنت ترى شبيبة القبيلة قد حولت كل اعجابها نحو بواخرنا التي لا تنفك تمخر عباب البوكون مرسلة عند اهتزازها رغم كل شرع وسنة نارا ودخانا وبخارا . وحيث أن هذين الشيخين الزعيم لونه وزميله موتساك كانا قد عمرا طويلا جدا وسئما بقية ايام مرة سوداء تتعاقب بشقاء وتعاسة عارية من كل شاعرة اعتبار لهما وعرفان شرفهما الرفيع ومكانتهما باتا ينتظران بفارغ صبر نهاية احزانهما الوقتية .

بيد انهما رغم كل ذلك قد شعرا تلك الليلة من انفسهما بجاذب غير مألوف لديهما يدنيهما من هذا الإنسان الابيض ، الذي كان معهما يحتمل بعشاء قرصات البرغش الذي كثيرا ما كان يقتحم هول كثافة الدخان ، والذي كان مقبلا بكله على سماع احاديثهما والإصغاء لاساطيرهما عن رغد سالف ايامهما الغابرة قبل ظهور البخار .

فدنا مني الزعيم لونه واخذ في الحديث شأن كل ثرثار : فخرج من انفه صوت حسبته طنطنة ذباب ، فتنحنح ورفع عقيرته فثار لسانه بين بقايا اسنان هي بالاحرى انياب ضار فخلت زنبورا في دن فارغ او نقيق ضفدع في جب فانبعث من فيه رشاش لعاب كأنه الوبل وانتشر منه ريح منتن كاد يغمى عليّ لما شممته فحولت وجهي عنه ووازنت موهما اياه انني اصغي فقال : انتقوا لي ابنة شابة لأن والدي كاسكتاكا الملقب بكلب الماء زعيم القبيلة الذي طعن في سنه وابلت جدة ايامه الشيخوخة كان ينظر إلي شزرا كلما عنّ له عدم مبالاتي بالنساء لأنه لم يكن باقيا له من ولده حي سواي وعلى زواجي كان يعلق آماله برؤيته ذريته بي تنمو وتتكاثر وبي لا تنقرض . واعلم ايها الرجل الأبيض انني كنت اذ ذاك في اسوء حالات المرض الشديد وما كان صيد الاسماك ولا لذة اقتناص الطير ولا مطاردة الوحش لينفخ فيّ نسمة الإحياء ولا لينهض لي همة . وإن معدتي لم تكن لتقوى على هضم اللحوم الجيدة اللذيذة .

ومن تكن حاله كهذه اينظر بعنى من المعاني إلى النساء ؟ او يخطر له على بال الزواج؟! او يحتمل أن يسمع بكاء الأطفال وجلبتهم ؟ كلاً حقا كلاً فاردف موتساك قائلا: وإن الزعيم لونه بالصواب نطق ، أو لم يذكر أن شج رأسه عند مصارعته الدب الأبيض الكبير الأخير شجة عظيمة حتى سال الدم من اذنيه ؟! . فهز الرئيس لونه رأسه بعنف هزة الإعجاب والكبر وقال : بلى وان موتساك لا يقول سوى الصدق وتابع قائلا : ثم شفيت جراحي بيد أنني ما برحت من جرائها اشعر بألم شديد في رأسي وصداع في صدغي ورعشة في فخذي وعند محاولتي المشي كانت تخور قواي وتخونني رجلاي وان حولت ناظري نحو النور كانت تمتلئ عيناي دموعاً وعند ما افتحها كان يخيل إلي ان العالم يدور ويتوارى في حلقات من النور صفراء وخضراء وبألوان اخرى وتجيء صور واشباح الأشياء وتخترق رأسي مرتكزة فيه فأحس بعبء ثقيل يبهظني وكعصابة كانت تضغط بشدة على جبيني وكنت أتكلم ببطء . وكثيرا ما انسى اسماء الأشياء وتعتريني غيبوبة طويلة فأصرع ، فكنت اذاً مصابا بمرض قوي عند ما جاءني والدي كلب الماء بقزعان وقدمها لي : — . اجل انها كانت شابة وقوية اجاب موتساك وابنة اختي وكان لها ردف ثقيل كأنه كثيب رمل وخاصرتان متسعتان يوطدان الأمل العظيم بإحياء ذرية بنين عديدين وتمشي على قدمين كأنهما لسانان وكانت تحسن تزينها بنوع لا تباريها فيه اية ابنة كانت من القبيلة ولم يكن امتن من خيوط الليف إذا غزلتها هي وتسحر القلوب بعينيها النجلاوين وتخلب الالباب بابتسامة لم تكن لتفارق شفتيها الرقيقتين . ذات اخلاق دمثة لينة العريكة غير ناسية ابدا ما يجب على كل امرأة ان لا تنساه من ان الرجل هو هو الآمر وواضع الشريعة . — فأتم الزعيم وقال : نعم كنت اراني ازاء كل هذا حقيرا جدا بل لاشيء وعند ما قدم لي ابي كلب الماء قزعان هذه اجبته : أحرى بي ياابي أن تقيم لي جنازة من ان تعد لي عرساً . فقطب عند سماعه كلامي هذا وتجهم وجهه وصاح بي بغضب : سيكون ما تتمنى ايها الولد العاق الغر فكن على اهبة الموت ، ورغم كونك حياً فإنا لم نكن نرى فيك سوى شبح هيكل عظام بالية . — . فاعترض موتساك بجدة قائلا : ليست هذه هي عادات عشيرتنا بل اعلم ان احتفالات الجنازة التي اقيمت للرئيس لونه لم تكن تجري عادة إلا للأموات ، إنما والده كان حينئذ في اشد حالات الاضطراب وانفعالات الغضب . — اجل إنه لذلك قال الزعيم لونه بدوره . وإذا ن

ابي كان يقول قليلا ويفعل كثيرا وفورا امر بالحال ان تجتمع رجال العشيرة أمام الخيمة التي كنت ملقى داخلها ، ولما احتشدوا اوعز اليهم ان يبكوا ويندبوا موت ولده . فشرع كهانها ورجال الدين يرتلون تراتيل الاموات والشعب يرددها بعدهم باصوات الحزن والعويل قائلين : وباتفاق الالحان وائتلاف النغمة صرخ لونه وموتساك معاً ما لم افقه معناه وهو هذا : او — او — او — او — آ — آ — آ — ها — هها — هـا — إتش — كاو — كاو — كوك — إتش — كاو — كوك — ، وكرراها مرارا . فلما سمعت والدتي أو كيا كوتا ذلك وهي داخل المضرب سودت وجهها بالعظلم وذرت التراب على رأسها وشقت جيبها ولطمت صدرها واعولت كما لو كنت حقا ميتاً واقتدت بها هونياك شقيقتي وسيناثا خالتي اخت امي وعلا لهن صراخ وعويل زاد في وجع رأسي حتى خيّل إلي انني ميت بلا ريب . ومالبثت ان اجتمع حول فراشي ابكار القبيلة يتحدثون عن اهوال اسفار روحي فقال احدهم واصفاً غابات كثيفة مظلمة تضطر نفسي ان تهيم بها تائحة معولة . وقال الثاني بوجود انهار جارفة مزبدة ذات مياه غادرة يقوم فيها روح شرير ياخذ بناصيتي ويرعبني بصراخه المزعج ويزجني في اعماقهــا . فهتفوا كلهم بصوت واحد بوجوب إعطائي زورقاً خفيفاً متيناً يقيني من الغرق ويوصلني إلى الشاطئ الثاني سالما . وبدا الثاني يصف عواصف ورعودا قاصفة لم يسمع بها ولا رآها حي وان السماء تمطر نجوما والأرض تتشقق عن هوات لا قرار لها حيث تجري تلك الأنهار وتنصب هناك بين فيها . فلما سمع الرجال الجلوس هذه الحقائق رفعوا ايديهم نحو السماء وضجوا طالبين لي الرحمة . فأجابهم الخارجون بجلبة اقوى فتحقق لي إذ ذاك موتي وانني عدمت الحياة . فتقدمت مني والدتي ووضعت إلى جانبي قميصي الصوفي وجبتي الجلدية ولحافا من جلد الحيتان ووبر الوحوش وقاية لنفسي من البرد والمطر اثناء سفرها هذا الطويل واذ كانوا ذكروا أمامها وجود جبل عــال ارجاؤه العوسج والاشواك اسرعت واحضرت لي خفا جديدا . وقيل ايضا بوجود وحوش كبيرة مفترسة يجب مصارعتها وقتلها أقبل الفتيان بدورهم واتوا باقوى قوس واصلب نبال وبمقلاعي ورمحي وسكين الصيد ثم ذكر الكاعبات الابكار ايضا الظلمات الموحشة ووحدة القفار الابدية التي يجب أن تجتازها نفسي بسكوت وتتيه فيها صامتة ، فاعولت امي وتجدد حزنها ومزقت اثوابها فتقدمت قزعان عندئذ برشاقة وخوف وخجل والقت فوق أمتعتي كيسا صغيرا

عرفت أنه يحوي الزناد والصوان والصوفان الجاف حيث ستحتاج اليه نفسي لإشعال النار وجيء بأثواب لإدراجي بها كما يفعل بالميت وبسبعة عبيد كان اسرهم والدي في غزواته من قبيلة الموكوموك المقيمة في الجانب الآخر من نهر اليوكون ليذبحهم واحدا واحدا في صباح الغدمقدم الكهنة سكولكا كي تتبع ارواحهم روحي عند تسآلها عن المجهول ولترافقها حاملة معداتي حتى النهر الجارف . واذ لا يبقى لتلك الارواح من عمل معي ترجع إلى ظلمات الغابة السوداء اللانهائية وتبقى هناك تضج تائهة إلى الابد . — وبينما كان كل ذلك يعد ويهيأ كنت انا سابحا في لجج من الاحلام اتصور ابهة حفلة جنازتي الشائقة التي لم يسبق لها من مثيل ولا اشك بأنني كنت محسودا عليها من الكثيرين وكان ابي جالساً مغضبا لا ينبس ببنت شفة . وما انفك الجمع مدة ذلك النهار والليل يضرب على الطبول ويجلب ويندب وهو يرتل التراتيل الدينية وفي صباح اليوم الثاني نهض والدي وخطب في الجمع قائلا: لا يجهل احد أن ابني هذا كان رجل حرب وشجاعا طول حياته وهل فيكم من ينكر بسالته او لا يعرف شجاعته وإقدامه . او ليس كلكم تعلمون انه كان يؤثر أن يذهب طعام الشفار وضحية الأسنة على موته حتف انفه وفوق فراشه وحشاياه الناعمة . فلما قال هذا أفقت وعنّ لي خاطر فقلت له إنني مادمت لم امت فلم لا اذهب إلى محاربة الموكوموك اعدائنا واقتل منهم فاستحق بذلك شرف وفخر رتبة الزعيم في عالم الأموات فتباهي إذ ذاك بفضلي يا ابي ؟ — فأمر بالحال أن تتهيأ فرقة حرب . وان تعد الزوارق وتنزل إلى النهر . وأنه لأول وهلة نرى احداً من اعدائنا يجب عليَّ ان اقتحم اللج وحدي واتقدم إلى حربهم ومقاتلتهم على مرأى من قومي واصحابي الذين يبقون بعيدين عني كشهود وقائعي . وبذا اكون عرضة لموت محقق . — فعارض موتساك لونه والتفت نحوي وقال : لا تصدق ايها الرجل الأبيض كلما قاله الزعيم عن ابيه كلب الماء بل اسمع الواقع : ان سكولكا المقدم في الكهنة لما كان يطمع في الرئاسة بعد وفاة كلب الماء الهرم عزم على اهلاك لونه ولي عهده الوحيد فبقي عدة ايام يشي به اليه ويبغضه فيه منذ أول مرضه وهو اخيرا الذي اشار عليه أن يعمل بابنه هكذا فوافقه كلب الماء نهائيًا . فقال لونه اجل كنت عرفت كل ذلك عنه إنما مرضي وثقل وطأة آلامي الشديدة لم تكن لتمكنني من الانتباه إلى شيء وكرهت الحياة كرها هذا مقداره حتى لم يبق عندي واعية فاغضب من عمل سكولكا وليس

هذا فقط بل ايضاً حبذت عمله تخلصاً من البلايا وحسبته له يدا . — فلم يمض إلا قليل حتى حضر نحو مايةرجل لم ار بينهم مدربا ولا بكرا ولا عاقلا حكيما يتبعهم جميع قاطني البلدة لوداعنا وهم يسلمون وينشدون الاناشيد المقدسة . وانت ايضا ايهـا الرجل الأبيض امـا كنت تسلم متهيبا وتنشد الحماسيات عند روئيتك شابا ذ هبا إلى جبهة القتال فااوت ؟ ! . — فسرنابهدوء وسكينة وموتساك ملازمي وهو يومئذ حديث العهد في الحروب وغير مدرب حتى اقتربنا من قرية الموكوموك وإذا ببضعة رجال من القرية في زوارقهم فلما احسوا بنا ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار فتبعتهم وحدي مجذفاً بكل قواي وأنا أشبع الفارّين سبابا وشتما لأن اوامر والدي وايعازات سكوالكا كانت تحظر تحت الوقوع في اشد العقوبات الصارمة على اي كان من رفاقي مشاركته لي في القتال . وبينا انا في اثرهم حانت منهم التفاتة فرأوني وحدي وقد بعدت عن رفاقي فقصدني اثنان منهم بزورقهما بسرعة واقبلانحوي وكل منهما يود اختراق صدري برمحه وما هي إلا فواق ناقة وإذا نحن وجهاً إزاء وجه مشتبكين فصوب احدهما رمحه نحوي وطعنني به فاتقيته وانحنيت عن مقدمة زورقي فمرّ بي يهوي فوق رأسي كالبرق . فانتصبت ودنوت منه وطعنته برمحي فاصبت نحره فصرع وخر إلى الماء وكان اول بشر قتلته فأومأ إليّ رفيقه بطعنة اصابت كتفي فانثنيت عليه وقومت سنان رمحي واضعا له في صدره بكلتايدي وتوكأت عليه بقوة إلى الأمام فابتدرني ضربا متواليا بعرض مجذافه على أمّ رأسي ولم يلبث ان انفذت النصل من ظهره فشعرت عندئذ بذهاب صداعي واحسست بانشراح صدري وغادرتني آلامي ورجعت قواي وانتعشت روحي فقلت في نفسي لعل هذا اول الموت فإن كان فما احلاه واشهاه . ولكن لا . إن ساعتي الأخيرة لم تكن حانت بعد وكأنني بعثت ونشطت وتقدمت سراعاً نحو القرية حيث ذهب الباقون لينذروا سكانها بالخطر الذي يتهددهم . اما رفاقي فلدى مشاهدتهم اعمالي هذه الباهرة والفائقة مقدرة كل مخلوق عادي تبعوني كتلة واحدة وهم يزمجرون وينشدون حتى بلغنا الشاطئ حيث تركنا زوارقنا وتقدمت بسرعة وبسالة عجيبة نحو القرية وبيدي رمحي ودبوسي فصادفت شابا بين الاعشاب فرميته باسرع من لمح البصر فوقع إلى الأرض يخور بدمه . واول رجل لقيته في القرية كان ايتويلي زعيم قبيلة الموكوموك فعاجلته بضربة على هامته فانفلقت جمجمته وسقط ميتاً لساعته وكذلك كاهنهم العظيم خنقته بيدي . فقال

موتساك : نعم وبقية رجال القرية الذين رأونا في ساعة غير منتظرة وظنوا اننا اتينا جميعاً إلى حربهم وقع الرعب في قلوبهم واسرعوا بغير انتظام إلى رماحهم يطعنوننا بها ويمطروننا وابلا من اسهمهم وعند عملهم هذا اقتحمنا جمعهم غير مبالين فيما بعد بأوامر كلب الماء والكاهن سكولكا وانزلنا بهم ضربا شجّ الهامات فطعانا اخترق الصدور ولله در الزعيم لونه الذي كان في مقدمتنا فلقد ابلى بلاء حسناً ولم يأل جهدا حتى لم يبق من اعدائنا الموكوموك نافخ ضرمة . فتابع لونه وقال : ثم اخذنا النساء والاطفال اسرى وجمعنا الاسلاب وكل مقتنى واضرمنا النار في جهات القرية الاربع فذهبت طعم اللهب . واعلم انه هكذا انقرضت عشيرة الموكوموك على يدي . ثم احتملنا غنائمنا على الزوارق ورجعنا نحو مضاربنا بفوز باهر ونصر مبين . — . ولا تسل عند وصولنا عن سكرة الانتصار والطرب التي ثمل بها والدي لما رآني حياً ومظفرا احمل اليه كل هاتيك الغنائم . ولا عن شدة سورة الحنق والغضب التي اعترت سكولكا فإن مراجل الحقد والحسد غلت فائرة في عروقه وفؤاده . فاجتمع حوالي كل حي في القبيلة ينظرون إليّ بدهشة ورعب فوقفت في وسطهم وبصوت دوى كالرعد : نعم كالرعد دوى كرر موتساك : امرت أن يؤتى بسكولكا فجيء به مرتعشا مذعورا ولما مثل بين يدي قلت له : انه لم يكن لي ارب في الموت ابدا وما خطر لي قط ببال أن اموت ، ولذا ما اقبح ما كذبت به واشنع ما غششت الارواح الشريرة المنتظرة ما وراء القبور ... و إذ لم يحر جوابا وبقي حائرا كمن ضاع رشده أردفت : ارى اذاً من العدل ان تسير مكاني كيلا يطول انتظار الارواح وتعود بالخيبة فتسخط علينا وتنتقم منا ، وقبضت بيدي على عنقه وخنقته على مشهد من الجمع قاطبة وارسلت روحه إلى الأنهار الجارفة والظلمات الخالدة والغابات اللانهائية حيث تهيم معولة إلى الأبد . ثم التفت نحو آلي وعشيرتي بصوت قاصف وقلت : بما انني قد عبرت انهار الموت الجارفة وتجاوزت حد ظلماته الخالدة وقطعت غاباته اللانهائية ورأت عيناي كل ذلك وسمعت اذناي صوت الكائن الاكبر المجهول وكلماته السرية وقد قرضت قبيلة الموكوموك التي ما برحتم مع والدي منذ غابر الأجيال تحاربون رجالها ولم تقووا على ابادتها ورجعت حيًا سليما ومعافى وقتلت سكولكا الكاهن الكاذب الغاش فأنا عظيم جدا اكثر من كل أحد وحتى من ابي وقد اقمت نفسي رئيساً عليكم وسأحكم فيما بينكم آلي وعشيرتي وسأكون كاهنكم وحدي ، فمن

تجاسر منكم على أن يعارضني او يتذمر من عملي هذا فليبده أمامي ويقله الآن على مسمعي . — فعرا القوم سكوت طويل كأنما على رؤوسهم الطير ولم يفه احد بكلمة ثم قلت لهم : ها قد شربت الدم وذقت طعمه فأحضروا لي الآن لحوما لآكل لأنني جائع وانصبوا حبائل الصيد والقوا الشباك واعدوا لي وليمة فاخرة . واقيموا افراح عرسي وائتوني بقزعان التي ستكون أمّاً لاولاد الزعيم لونه . ولا يكن فيما بعد بينكم حزن وكآبة . — فجثا والدي على قدمي عند سماعه كلامي هذا وطفق يبكي بكاء الثاكلات حيث كان طاعناً في السن جدا وهرماً . ومن ذاك الحين صرت ملكا وزعيم عشيرتي الغاموغامو المطاع الاوامر وما برحت تحنى امامي كل هامة ولكن يا للأسف حتى مجيء البخار ! فكرر موتساك ايضا : حتى ويا للاسف مجيء البخار !!.

نزيل تبنين مبدى الخوري

إلى طلب العلى

نهوضا بني قومي إلى طلب العلى فـوالله لا يغـني نزار ولا فهـر .
رقدتم طويلا فاستفيقوا من الكرى ولا تلبثوا وهنا فقـد طلع الفجر
لعمر الفتى : ما العيش إلا ركوبه متون الظبى : والعيش من بعده مر
يعـزّ عليـه أن يرى متقاعـدا وليس له في كل واقعـة ذكر

* * *

إلى العلم والعرفان شدوا رحالكم ولا تقعدوا جبنا : وقد عظم الأمر
فما العلم إلا جنة يتقى به فلا فاضة تبلى ولا عسكر مجر
هو البدر إن ليل الخطوب عراكم (وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر)
هو العلم نار اوقدت تبعث الهدى ونار على من ساقه المكر والغدر

* * *

فما بالكم لا تقدرون رجالكم وفيهم : لعمري : من يحق له القدر
بهم كل مغوار يروح بعزمـة تقصر عـن ادراكها الأنجم الزهـر
يخوض غبار الموت : والموت عابس ويبسم : والأعداء كالحـة غبر
فكن رجلا ضربا حكيما مجربا إذا قيل عنه صدق الخبر الخبر
رمته يد الأقدار في كل نكبة ففاجـأه مـن سيفه الفتح والنصر

صافيتا — بيت ناعسه : عبد اللطيف ابراهيم

جون ملتون*

١٦٠٨ — ١٦٧٤

في احد ايام كانون الأول سنة ١٦٠٨ وبينما كان شكسبير يؤلف رواياته الشهيرة وكان رولي (١) في السجن وجيمس الأول على عرش انكلترا — ولد شاعر انكليزي عظيم في لندن — هو جون ملتون .

والد ملتون كان يشتغل في الجرائد الحقوقية وكان ناجحاً في شغله وكان من فرقة البيوريتانز (٢) لكنه لم يكن فظاً كأكثر افراد هذه الفرقة . كان يحب الموسيقى والكتب والمطالعة وعلّم ابنه أن يحبها فابتدأ ملتون وهو صغير جدا يظهر ولعه في الكتب ولذلك عين له ابوه معلماً خصوصياً . ولما صار في العاشرة من العمر كان ينظم شعرا ، ومن فرط اجتهاده كان يسهر فوق طاقته مكبّاً على دروسه فكان ابوه يأمر الخادمة ان تسهر معه حتى يكمل درسه .

ولما بلغ ملتون الثانية عشرة من عمره ارسله ابوه إلى مدرسة شهيرة في لندن تدعى مدرسة القديس بولس (St. Pauls Boys School) وبعد مضي ثلاث سنوات ذهب منها إلى جامعة كمبردج . كان شابا جميل الطلعة وقيل إنه اجمل تلميذ في الجامعة ولكنه كان لدرجة ما معجباً بنفسه مستقلا في افكاره وآرائه . عند دخوله الجامعة صمم على أن يكون قسيساً في الكنيسة . ولكن الخصام الذي حدث بين البيوريتانيين والكنيسة منعه من الدخول في سلكها لأنه كان بيوريتانيا . في ذلك الحين هاجر قسم من البيوريتانز إلى سالم Salem وبوستون Boston في شرقي الولايات المتحدة New England . وفي اثناء هذه الاضطرابات توفي الملك جيمس الأول وتولى تشارلس الاول الملك .

بعد ما أتم ملتون دروسه القانونية في جامعة كمبردج وقرر ان لا يصير قساً تردد

---

* معربة عن الانكليزية (١) رولي Sir Walter Raleigh هو احد الرجال العظام كلورد باكون ورسيدني وسبنسر الذين كانوا في البلاط الملوكي على ايام الملكة اليزابات التي توفيت قبل ولادة ملتون بخمس سنوات (٢) البيوريتانز Puritans او البيوريتانيون طائفة متأنقة في النصرانية ثارت ضد الكنيسة وارادت ان تطهرها

إلى حين في ماذا تكون مهنته . ولكنه كلما افتكر وتروى في امره كان يظهر له أنه خلق ليكون شاعرا . ولذلك قضى خمس سنوات في بيت ابيه في هورتون (Horton) على مسافة عشرين ميلا من لندن) ينظم شعرا ويدرس بجد ونشاط ليتقن هذا الفن جيدا . في خلال ساعات الدرس والكتابة كان يتجول في المروج الخضراء والأحراج ويتفكر افكارا سامية ويتخيل تخيلات عجيبة بعضها وضعها حالا في شعره واخرى حفظها في مخيلته ونسقها فيما بعد .

في اثناء هذه السنين التي قضاها في هورتون نظم ملتون قصائده القصيرة : (L'Allegro) يصف السعادة ، (Il. Pensroso) يصف التأمل والتفكر ، Lycidas يمدح صديقاً حميماً له كان قد مات غرقا ، وكوموس Comus رواية صغيرة اشخاصها من الجن والإنس .

لكن عيشة البر الهادئة لم تحل له فكان يصبو ان يرى ويختبر من العالم اكثر مما رأى واختبر . واخيرا جهزه ابوه بدراهم وساح ملتون في فرنسا وسويسرا وايطاليا . ولما كان في ايطاليا جاءته الأخبار بأن النزاع دائر بين الملك والشعب وان الحرب لا بد منها . عند ذلك عدل عن السفر ونظم الشعر ورجع حالا إلى انكلترا وصرح قائلا : (عار عليّ أن اتلذذ في سفري بينما ابناء وطني يقاتلون لنيل الحرية .)

وحين وصوله إلى لندن رتب ملتون بيته ودعا اثنين من ابناء اخيه ليعيشا معه فعلمهما اللاتينية واليونانية وبعد مدة دعا ايضاً عدة اولاد وجعل بيته مدرسة خصوصية صغيرة . وداوم على الدرس والكتابة — كتابة المقالات والرسالات الحماسية التي هيجت ابناء وطنه وساعدتهم في القتال لنيل الحرية .

في هذا الحين سافر ملتون الى اوكسفورد ورجع بزوجة من هناك في السابعة عشرة من عمرها — نحو نصف عمره . ولكنهما لم يتفقا طويلا اولا لأنها كانت تميل إلى البسط واللهو وهو يميل إلى الدرس والاجتهاد وثانيا لأنها كانت من حزب الملكيين = اي انصار الملك = وكان هو من حزب البيوريتانيين الثائرين ضد الملك . ولذلك فرت ماري ملتون من زوجها ورجعت إلى بيت ابيها وبقيت هناك حتى قهر الملك وطرد انصاره من بيوتهم .

حينئذ رجعت الى زوجها مع ابيها وامها واخواتها وطلبت العفو منه فسامحها وتأهل بها وبمن معها . فكان ابوه وتلامذته يعيشون معه ايضاً واصبح بيته ملآنا

وفي سنة ١٦٤٩ قطع رأس الملك تشارلس الأول (Charles the First) بأمر من البرلمان وتعين أوليفر كرمول (Oliver Cromwell) رئيساً الحكومة . ولم ينس قواد الحكومة البيوريتانية الجديدة كيف ساعدهم ملتون في كتاباته على نيل الحرية فقدروا له هذه الخدمات وعينوه كاتم اسرار اللغات الاجنبية (Secretary for Foreign Tougues) فكان عليه أن يترجم التحارير من الحكومات الاخرى ويجاوب عليها في اللاتينية وان يرد قدح الانتقادات التي كانت تصور ضد حكومة كرمول . هذا عمل صعب جدا وكان ملتون يصل الليل بالنهار جالسا في مكتبه متمما واجباته بكل دقة وامانة حتى اصيب اخيرا بوجع في عينيه . فنصحه الأطباء ان يترك الكتابة والا يفقد نظره بتاتا . لكن ما العمل؟ عرف اصدقاؤه وهو نفسه تحقق بأن لا أحد غيره في انكلترا في طاقته ان يقوم بوظيفته كما يجب . فلذلك قال : « اني عدلت عن نظم الشعر الذي هو مهنتي لاخدم ابناء وطني والآن مستعد لأضحي نظري لأجل خدمتهم » وبقي مستمرا مثابرا على عمله حتى فقد نظره وهو في الثالثة والأربعين من عمره

لكن فقد نظره لم يمنعه عن وظيفته فكان يملي التحارير ويرد على الانتقاد كما كان يفعل سابقا ويجهد نفسه من الصباح إلى المساء . وبعد مدة توفيت زوجته وتركت له ثلاث بنات الكبرى منهن لاتتجاوز السادسة فما اصعب العناية بالاولاد وخصوصا لرجل كفيف النظر منهمك بالاشغال مشغول الافكار .

ومما زاد ملتون تعاسة أنه لم يمض قليل حتى استرجع الحزب الملكي قوته وتولى الملك تشارلس الثاني Charles the Second ابن الملك الذي قطع رأسه وهرب البيورتانز لينجوا بأنفسهم من الهلاك قبض انصار الملك على البعض وهاجر البعض منهم إلى الولايات المتحدة .

أما ملتون فاختبأ اشهرا عديدة في بيت صديق له وحجزت املاكه واحرقت كتبه واخيرا قبض عليه واودع السجن . ولكن الملك رق لحاله فعفا عنه

هذه الأحوال السيئة والقلاقل لم تثبط عزم ملتون . فلما غاب على امره رجع إلى نظم الشعر منيته القصوى فبقي سبع سنوات ينظم قصيدته العظيمة الفردوس الضائع Paradise Lost التي تخبر كيف خالف الشيطان امر الباري عز وجل وكيف طرد آدم وحواء من جنة عدن . كان يملي الشعر على بناته وهن يكتبن او على

اصدقائه الذين كانوا يأتون لزيارته · هذه القصيدة العظيمة اكسبته شهرة وشرفا · ولما انهاها نظم قصيدة اخرى سماها : الفردوس المسترجع Paradise Regained وألف رواية يذكر فيها قصة شمشون بطل اسرائيل الذي قضى اواخر ايامه ضريرا كما كان ملتون

لنتأمل ملياً فنرى أن لكل منا مثالا حسنا في جون ملتون الشاعر الانكليزي الكبير مثال الخدمة الوطنية الصادقة ، مثال التضحية القلبية المخلصة ، مثال العمل والجد والاجتهاد والمواظبة والثبات · فهل من سامع وهل من مبصر ؟ وهل من اناس احياء يعلمون ويتحققون ان لا وطن إلا باهله ولا اهل إلا بالتآخي والتعاون في العمل ولا عمل إلا بالتضحية القلبية وبذل الغالي والنفيس في سبيل خدمة الوطن والنهوض به من الذل والهوان فاين الاستقلال والحرية ؟ واين عشاق الحرية ؟

صور راشد خليل

هل علمت ؟

أن اغنى امرأة في العالم هي اللايدي اودلو التي سرق اللصوص من بيتها حليا تساوي ٢٥٠ الف ليرة انكليزية

وأن زوجها الأول توفي سنة ١٩١٢ وترك لها زهاء عشرة ملايين ليرة انكليزية وكان المانيا وقد تزوجت مرة ثانية ويقال إنها تساعد المشاريعَ الخيرية

وأن محامية بولندية هاجرت إلى اميركا ودرست الشريعة وتزوجت في شيكاغو وأحبت رجلا آخر متزوجا حبا كاد يفقدها عقلها والحّ يطلق امرأته ويقترن بها فعزمت على قتله وقتل امرأته ومن حسن حظه كان خارج البيت فجرحت امرأته ثم قتلت نفسها بالسم فتأمل

وأنه تألفت في الصين عصابة نسائية همها خطف الشبان الموسرين والتزوج بهم قسرا حتى اضطرت الحكومة لمطاردة هؤلاء النساء الخاطفات

وأن رجلا في عاصمة البرازيل تزوج بخمس زوجات والزوجة الخامسة في الثالثة والعشرين من سنيها وهو قد بلغ ١٢٨ سنة وله ٤٨ ولدا ويود أن يجعل اولاده خمسين قبل مفارقته هذه الحياة



التربية والتعليم

نشر في هذا الباب ما يتكرم به الاساتذة المجربون لأنهم اعرف في امور التربية والتعليم
وننشر احيانا ما نراه في هذا الباب من اختباراتنا وملاحظاتنا

تربية الاولاد البيتية ٣

ثالثا : الولد بين عشرائه — الولد مثل شمع الختم اللين قابل الانطباع بأي شكل كان . تكلمنا عن وجوب الانتباه له وهو في البيت بين اهله . ولكن مهما كانت اغلاط الوالدين في تربية بنيهم فإنهم يبقون مخلصين لأولادهم يريدون لهم الخير وإن جهلوا احيانا السبيل القويم لإنالتهم الخير . إن الخطر الاكبر على الولد يكون حينما يبتعد عن نظر والديه . حينما يختلط برفقاء من اترابه يميل طبعاً إلى معاشرتهم واللعب معهم فتحلو له مرافقتهم ومماثلتهم وهو لا يميز الخير من الشر ليعرف من يعاشر ومن يتجنب فلذلك على الوالدين والحالة هذه أن لا يسمحوا لعشير السوء ان يماشي ابنهم لأنه بعشرة يوم يفسد عليهم تهذيب شهر . والقدوة تؤثر في الكبير فكيف بنا إذا تعرض لها الصغير فإنه بسهوله يقتبس الألفاظ السفيهة والعادات الباطلة . بعض الوالدين يرتاحون إلى خروج ولدهم من البيت ليتخلصوا من كثرة حركاته وضوضائه ولكنهم إذا لم يلاحظوا اين يذهب ومن يعاشر يسببون لأنفسهم ولولدهم اضعاف الاتعاب التي ظنوا انهم يتخلصون منها بإقصائه عنهم . ويعسر عليهم تقويم ما اعوج من سلوكه . قال طوفة ابن العبد البكري في معلقته

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

لا اقصد بما قلت ان يسيج الوالدون حول اولادهم او يضعوهم في قفص من حديد لا يخرجون خارجا بل أن لا يغفلوا عن مراقبتهم لئلا يقعوا في اشراك اولاد الازقة الفالتين

رابعاً : الولد في المدرسة — لا اعني بكلامي أنه يجب أن نرسل اولادنا إلى المدرسة ليتعلموا ولا أن يختاروا المدرسه المشهورة بحكمة اساتذتها وآداب تلامذتها فإن ذلك لا يخفى على بصيرة الوالدين الذين يهمهم صالح اولادهم . ولا اقصد الكلام في كيف يجب ان يكون سلوك الولد في المدرسة

فإن ذلك له مقام آخر غير مقامنا هذا المحصور في التربية البيتية ولذلك اقصر كلامي على العلاقة الكائنة بين الوالدين والمدرسة من جهة سياسة الولد لأنه على هذه العلاقة يتوقف حسن سيرة الولد ونجاحه في دروسه فإن بعض الوالدين يتطرفون من الجهة الواحدة فيخاطبون الأستاذ على مسمع ابنهما قائلين إن هذا الولد لم يعد ابننا قد صار ابنك تتصرف به كما تشاء لك الجلد ولنا العظم . فماذا تظنون تكون حاسات ولد يجد نفسه بين ابيه ومعلمه يقتسمان جلده وعظمه ؟ فإما أنه يصدق ما يسمع ويأهول تأثير هذا التصديق وإما أنه يحسبه من قبيل التهويل فيذهب ادراج الرياح . أرى انه لا لزوم لمثل هذا الكلام فيكفي أن توصي المعلم بابنك خيرا — ولكن مهما انتقدنا ابا عنده مثل هذا التطرف فإنه لا يضر مثل الوالدين الذين إذا عاد ابنهم إلى البيت يشكو ضيما لحقه من المعلم او بعض التلاميذ إن كان في السلوك اوالدروس فيأخذ في بيان التحامل والتعدي والمحاباة ملفقاً الدعاوي لستر جرمه أمام والديه لا سيما إذا صحب ذلك احيانا سيل عبراته فالوالدون الجهلاء يحسبون كلام ابنهم منزلا فيحكمون على المعلم والمدرسة ويأخذون في الكلام بحقهما وربما اتصل الشر إلى اهل الاولاد الآخرين واحيانا يذهب الوالد ويشبع المعلم خصاماً ولوماً مبررا ابنه من كل ذنب . وهذه الطريقة ارانا الاختبار الطويل انها تفسد الاولاد وتضرهم في دروسهم وسلوكهم وإذا كان الوالدون حكماء لا يصدرون حكما حتى يراجعوا المعلم في الأمر ويقفوا منه على الحقيقة ويعضدونه في اتخاذ افضل الذرائع بأحسن وسيلة لتهذيب ابنهم وهم الرابحون بخلاف ماذا اشاعوا مذمة المعلم والمدرسة بينما يكونون هم وابنهم احق بالملامة

مدرسة الفنون الاميركانية — نسيم الحلو

النفوس العالية

إن النفوس العالية الشريفة هي النفوس التي تحوي روح الشجاعة والإقدام والإعتقاد بأنها تقدر على الإتمام

إن العالم يأخذنا بما نثمن به نفوسنا إنه يؤمن بالرجل الذي يؤمن بنفسه ولكنه لا يعتبر الرجل المتردد، الرجل الذي لا يثق بقدرته ولا برأيه ، الذي يطلب دوما نصيحة الآخرين ويجبن عن إتمام خططه

إن الرجل الذي يعتقد بنفسه ويصمم في عمله ، وأنه اهل لمواجهة الظروف ، وقادر على إتمام ما يباشر به، هو الرجل الذي يكتسب ثقة إخوانه في البشرية ومحبتهم ، وما ذاك إلا لأنه جريء، لأنه لا يجبن ولا يتردد

(قوة الإرادة)

المراسلة والمناظرة

ننشر في هذا الباب ما يرد الينا من الملاحظات والانتقادات سواء كانت لنا او علينا سالكين بها مسلك المناظرة لا المهاترة معتقدين ان مناظرك نظيرك

ما احلى العتاب بين الأحباب

رأينا ما بعث به إلى العرفان صديقنا الاستاذ الفاضل الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي الدمشقي بهذا العنوان فشكرنا له رقة عباراته وتوخيه تحرير الصواب ولما كان لهذا الفقير قسط من هذا العتاب لم اجد بدا من الجواب قائلا : ما احلى العتاب بين الاحباب قاصدا تصفية الحساب وتحرير الصواب مع ما اعتقده من حسن نية الاستاذ وسعة صدره وتوخيه تمحيص الحقائق

عتب الاستاذ الفاضل علينا في نشر شرح قصيدة الأمير ابي فراس الحمداني لأحد علماء حلب القدماء المعروف بابن ابي جرادة الحلبي وعتبه علينا في نشر كلمة قالها الشارح في نثيلة التي هي امة لعبد المطلب على بعض الأقوال عند شرح قوله (ولا نثيلتكم من أمهم أمم)

فنقول للاستاذ قد رأينا في المخطوطات القديمة شرحا قديما لميمية ابي فراس المشهورة التي اجاب بها ابن سكرة الهاشمي على قصيدته التي افتخر بها على الطالبيين وقصيدة أبي فراس من غرر القصائد وقد جعل ناظمها قرينا لامرئ القيس من قال (بدئ الشعر بملك وختم بملك) وقد حوت من الأمور التاريخية المهمة والمفاخرات ما تجمل معرفته ولا يحسن جهله ولم يكن ابو فراس فيها إلا مدافعا وقد قيلت في عصر خلفاء بني العباس فلما علم صاحب العرفان بهذا الشرح احب نشره في مجلته لجدارته بذلك بما حواه من الفوائد اللغوية والأدبية وشرح القضايا التاريخية التي يجب كل من يقرأ القصيدة الوقوف عليها نظير شرح رسالة ابن زيدون وامثاله لا سيما مع كونه من المخطوطات القديمة لعالم قديم من علماء حلب فصاحب العرفان هو الناشر لا نحن وإن قال اننا نحن نشرناها باعتبار أنا ارشدناه اليها فإننا لسنا ممن ينشر شيئا في الصحف إلا عند الضرورة ولا يتسع وقتنا لذلك نقول هذا بيانا للحقيقة لا تبرءا من نشرها فنشرها محمدة لا مذمة فإذا قال شارحها كلمة

تاريخية هل يسوغ في امانة النقل تركها وهل يوجب ذلك بناء هذه القصور والعلالي عليها ولا نراكم ايها الإخوان المتحمسون تعتبون على احد ممن يطبع الكتب القديمة وينشرها وفي كل منها ما فيه مما لا يجمل نشره ذلك لأنه لا يجوز لناشر كتاب ان يزيد فيه او ينقص منه حرفاً واحداً ولذلك قالوا ناقل الكفر ليس بكافر والذي نشر ديوان ابي فراس وطبعه في هذه البلاد اولا وآخرا هم المسيحيون وقد نشروا فيه قوله

لهم خلق الحمير فلست تلقى
فتى منهم يسير بلا حزام

فلم تسمح لهم امانتهم بحذفه ولم نر احدا من الأمة المسيحية اعترض عليهم في ذكره فما بالكم تلقون علينا تبعة كلمة قالها رجل قبل مئات من السنين لأنا نشرنا كتابه في العرفان او كان في تلك الكلمة تبعة وما كنا نؤمل من الاستاذ أن تجرنا قافية عتبه على صاحب العرفان

ولا نراكم ايها الإخوان المتحمسون والمدافعون عن كرامة النبي (ص) تبدون حماسكم هذا في قبال من يكفر ابا النبي واجداده ويلوثهم بدنس الشرك ويجعل نكاحهم نكاح الجاهلية لا الحنيفية ويجعل حامل نور الرسالة في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه مع ذهاب أئمة اهل البيت الطاهر جميعهم الى تنزيه اجداد النبي (ص) وآبائه جميعا عن دنس الشرك وسفاح الجاهلية ولا نراكم تبدون هذا الحماس والمدافعة في قبال من يبذل كلما في وسعه لإثبات كفر ابي طالب عم رسول الله (ص) ومربيه وحافظه وناصره والمدافع عنه والمتحمل اذى الحصر في الشعب ثلاث سنين لأجله مع تصريحه بالإسلام في اشعاره وغيرها بقوله

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير اديان البرية دينا

إلى غير ذلك مما لا يسعنا سرده وتغضون الطرف عن مس كرامة النبي (ص) في ابيه واجداده وعمه الذي بمنزلة ابيه باتباع ما نقله خصوم الطالبيين وبذلوا عليه الأموال وعن مس كرامة النبي «ص» في اخيه وابن عمه وصهره ووارث علمه فتحامون عمن سبه على منابر الإسلام عشرات من الأعوام وتبررونه وتقدسونه وتشنعون كل هذا التشنيع على كلمة وردت في شرح قصيدة قيلت قبل مئات من السنين

يقول الاستاذ لوثنا بيت امية بما رويناه عن هند وسمية سواء كان بحق اوبباطل فنقول للأستاذ نحن لم نلوث بيت امية ولا غيره إنما اوثه التاريخ الذي لوث من اوث وطهر من طهر ونظم فيه الأشعار حسان بن ثابت الانصاري الصحابي شاعر رسول الله «ص» بمسمع ومرأى من النبي

«ص» ونقله اكبر مؤرخ كالطبري فابالك ايها الأستاذ الفاضل تاتي تبعة ذلك علينا

فنحن ايها الأستاذ الذين حفظنا كرامة النبي «ص» ونزهنا آباءه وامهاته من آدم إلى عبد الله ومن حواء إلى آمنة من دنس الشرك وسفاح الجاهلية لا غيرنا

ونحن أيها الأستاذ لا نريد أن نرضي الإمام عليا في جدته كما ظننت فالإمام علي غني بمفاخره في نفسه وآبائه وصفاته عن إرضائنا وإرضاء غيرنا ولا ابن ابي جرادة يريد ذلك إنما هو شارح ومفسر

ومن ذلك يعلم الحال في قول الأستاذ فتذهب بنا الغفلة الخ

وحيث قد طرقنا باب العتاب مع الأستاذ وما احلى العتاب بين الأحباب فليفسح لنا الأستاذ مجالا لذكر عتابه اصاحب العرفان فإن الشيء بالشيء يذكر والحديث شجون وله علينا ذمام الشركة التي عقدها بيننا الأستاذ وإن لم يكن لنا فيها رأسمال مع أن ما يصيبه من هذا العتب يصيبنا

يقول الأستاذ إذا ضربنا صفحا عن مفاخر الأمويين وتعديد مآثرهم لا يبقى بأيدينا مايدل على حضارة العرب ومدنيتهم خلافا لمن اتهمهم بأنهم لايصلحون لذلك

فنقول له من ذا الذي قال لكم ان تضربوا صفحا عن مفاخر الأمويين ومآثرهم التي هي مفاخر ومآثر للعرب والإسلام وانما نقول إنه لا يسوغ لنا أن نلبس قبائحهم ثوب المدائح فنثني عن يزيدهم قتل سبط الرسول وما ارتكبه من الفظائع في قتله وسبي نساء بيت النبوة ونغفل عن أن ذلك يؤذي رسول الله «ص» إذا برأنا عدوه المجاهر بمخالفته في شعره الذي أنشده في المجلس العام وهو يحمل لقب الخلافة وامارة المؤمنين ونبرر اعمال من انتزى على الأمة الإسلامية بعد اتفاق كلمتها ونازع الحق أهله وفرق الكلمة وسفك الدماء واحدث بين المسلمين فرقة وحقدا ونفارا وفتنة لا يزال يتطاير شررها إلى اليوم في اقطار المعمور ويعجز المصلحون امثال الأستاذ عن اصلاحه مع بذل الجهود في السنين المتطاولة كل ذلك سعيا وراء الامرة وحبا بشهوات الدنيا وايثارا للعاجلة على الآجلة فنبدي له الاعذار وننكر الشمس في رائعة النهار ونقوم بذلك خطباء على المنابر ثم نتمسك بما جاء في شرح ابن ابي جرادة وهو اضعف من رجل الجرادة إن هذا ليحقق ظن من يتهمنا بأننا لانصلح للمدنية والعمران الذي خاف منه الأستاذ

إن حرية الضمير ووجوب إظهار الحق يقضيان على المرء الحر أن يعرف للمحسن احسانه والمسيء إساءته فلا نذكر للأمويين مآثرهم ومفاخرهم وفتوحاتهم ولا ننكر سيئاتهم العظيمة التي كانت

بلاء على الإسلام والعرب إلى آخر الدهر

يقول الأستاذ إنه يريد أن يقنع من يتهم العرب بأنهم لا يصلحون للعمران والحضارة بآثار الأمويين في الاندلس وسوريا وفلسطين وبجامعهم العظيم الذي هو طابع مدنيتهم وأثر من آثار عبقريتهم وفق الله مساعي الأستاذ وقرنها بالنجاح قد علم الأستاذ ان هذه الأقوال لا تغني عنا فتيلا وأن الأقوال لا تغني عن الأفعال والفخر بالأجداد لا يفيد الأولاد ومآثر السلف لا تكفي للخلف

إن الفتى من يقول ها انا ذا

ليس الفتى من يقول كان ابي

كم قلنا وخطبنا وعددنا مآثر الآباء والأجداد ونحن نرجع إلى الوراء

فبدلا عن صرف الأوقات الثمينة في تعداد مآثر الأسلاف لنشتغل بتعليم الجهال واصلاح الأخلاق ولم شعث الأمة وغير ذلك مما يوجبه علينا الدين ونظام الاجتماع وحب الوطن اما طابع مدنية الأمويين فهو ماثل قائم أمام أعين الخلق كافة يقول لهم بلسان حاله وفخامته ها أنا ذا لا يحتاج إلى صرف الوقت والمال في بيان عظمته وعظمة من بناه

يقول الأستاذ لست ادري ولا المنجم يدري لماذا كان في احياء مناقب الأمويين اماتة لمناقب غيرهم وهل الإعتراف بمناقبهم يستلزم أن لا يكون لهم مساو ومثالب او أن لا يكون لآل البيت الطاهر مناقب

لم يقل أحد للأستاذ أنه أحيى مناقب الأمويين وامات مناقب غيرهم وإنما موضوع الكلام ما اشرنا اليه من إلباس قبائحهم لباس المحاسن وإنكار فظائعهم وقد وضع التاريخ لغير ذلك

ثم تطرق الأستاذ إلى ذكر الضرائح والمزارات وقال إن صاحب العرفان عاب الأمويين بأنه لم يكن لهم مزارات مشيدة كمزارات غيرهم في دمشق والعراق

إن صاحب العرفان لم ينكر وجود مزاراتهم المشيدة فهي ماثلة قائمة لا يستطيع احد انكار وجودها إنما قايس بينها وبين غيرها

ثم قال الأستاذ يا سبحان الله ايدر الأمويين أن لا يكون لهم آثار عمرانية خالدة ثم يكون لهم عوضها ضريح مشيد ومزار يحفد (ولا أقول يعبد)

يشير الأستاذ بذلك إلى الفرق بين الأمويين والعلويين فللأولين آثار عمرانية خالدة وللآخرين ضرائح مشيدة

فنقول للأستاذ ما هذه الآثار الخالدة الا كأهرامات الفراعنة لا تغني عنهم فتيلا إذا لم تكن اعمالهم صالحة اما الصالحون منهم امثال عمر بن عبد العزيز فآثارهم خالدة في بطون الكتب وعلى السنة المادحين وبها يفاخرون

وأما آثار علي وآله فهي والله الخالدة كضربته يوم الخندق ويوم خيبر وفعله في بدر واحد وحنين وهي التي بنى على اساسها الأمويون آثارهم الخالدة ولولاها لم يستطع الوليد هدم قبة الكنيسة ومن آثاره نهج البلاغة وامثاله الذي يستمد منه العالم إلى آخر الدهر علومه وآدابه وقوانينه ونظاماته ومن آثاره العدل الذي صار قدوة لكل عادل إلى قيام الساعة هذه هي الآثار الخالدة التي يفاخر بها ويسير السائرون على نهجها

اما ما اشار اليه الاستاذ في قولـه (ولا اقول يعبد) من ان زيارة قبور الانبياء والأوصياء والعلماء والصلحاء وذوي المكانة عند الله تعالى كقبر سيد الكائنات بالمدينة المنورة وقبري صاحبيه وقبور اهل البيت وجملة من الصحابة بالبقيع وقبر الإمـام مالك وقبور الأنبياء في بيت المقدس وبلد الخليل وقبور اهل البيت بالعراق وقـبر الإمام ابي حنيفة والشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد والإمام الشافعي بمصر وسائر القبور التي في بلاد الإسلام وتشييدها عبـادة لها فهي شبهة وهابية فتح بابها ابن تيمية ومن وافقه حتى سماها الـوهابيون شركا واستحلوا لأجلها دماء المسلمين واموالهم وكذلك قالوا فيمن استنجد بأحد من هؤلاء واستشفع بهم لقضاء حاجته عند الله تعالى وهو امر خالفوا فيه سيرة المسلمين من سنين وشيعة المستمرة اجيالا ومئات من السنين لشبهة دخلت عليهم ومعـلوم ان سيرة المسلمين اجماع عملي كاشف عن اخذ ذلك من صاحب الشرع كما بينا ذلك في الحصون المنيعة فالمسلمون من عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى يومنا هـذا مجمعون قبل ظهور الوهابية على زيارة هذه القبور كما تزار الكعبـة في كل قطر وفي كل عصر وفي جميع اعصار ملوك الإسلام وخلفائه وعلماء المسلمين وصلحائهم وفي كل آن يزار قبر النبي وقبور الأنبياء ببيت المقدس وبلد الخليل وغيرها وقبورهم مشيدة من قديم الزمان مبنية بأتقن بنيان معقودة عليها القباب الشامخة والأضرحة ولم نسمع أن احدا انكر ذلك او نهى عنه قبـل الوهابيين ومتبوعيهم فأي امر من امور الدين اجمعت الأمة الإسلامية عليه اجماعها على هذا الأمر

اما توهم أن ذلـك عبادة للقبور ولا تجوز العبادة لغير الله تعالى فتوهم فاسد إذ لو كان تعظيم القبور وزيارتها عبادة لهـا وشركا بالله تعالى لكان تعظيم الكعبة المشرفة والحج اليها وهي حجارة مبنية وتعظيم الحجر الأسود واستلامه وهو جماد وتعظيم المساجد وتعظيم الأبوين والمعلم واخوان الدين وغير ذلك كلها عبادة لها وشركا (فإن قيل) ان هذه قد دل الشرع

على تعظيمها فلا يكون شركا (قلنا) ماهو شرك لا يمكن أن يرخص فيه الشرع فدل ترخيصه على أنه ليس بشرك فكذا ماماثله (وبالجملة) لا يمكن ان يكون الشيء الواحد في حالة شركا وفي حالة طاعة ، نعم قد دل الشرع على عدم جواز السجود لغير الله تعالى ولكن فاعله لا يكون مشركا هذا حال زيارة القبور وتعظيمها

أما بناؤها وبناء القباب والضرائح عليها فحرمه الوهابية ايضا واستدلوا عليه بما اشار اليه الاستاذ مما جاء في مسند الإمام احمد وهو على تقدير صحة اسناده محمول على الكراهة التنزيهية لا التحريم وعلى غير قبور الأنبياء وذوي المكانة عند الله الذين دل الشرع على رجحان تعظيمهم احياء واموانا ويدل على استثناء تلك القبور من الكراهة تسالم المسلمين على البناء فوق قبر نبيهم وتحديده جيلا بعد جيل وعلى قبور سائر الأنبياء والأوصياء

ويؤيد الكراهة اشتراك التماثيل مع القبور التي هي صور ذات الأرواح كما فسرها النووي في شرح صحيح مسلم وهذه لم يقم دليل على حرمتها إنما غايتها الكراهة وليس المراد بالتماثيل الصور المجسمة التي لا اشكال في تحريمها بدليل قوله إلا طمسته اي غيرته كما فسره النووي ايضاً . ثم أن الإمام احمد بن حنبل كما روي له ذلك فقد روى في مسنده احاديث كثيرة تدل على وجوب التمسك بالثقلين الكتاب والعترة وإنهما لن يفترقا حتى يردا الحوض على النبي (ص) وهم قد زاروا هذه القبور وحثوا على زيارتها وشيدت في زمانهم واول من شيد قبر علي بن ابي طالب واظهره الخليفة هارون الرشيد فما بال الوهابية وهم حنابلة لا يعملون بهذه الأخبار التي رواها إمامهم

ومما يعيبه الوهابية على عامة المسلمين ويجعلونه شركا ايضا مبيحا للدم والمال النذور وذبح مايسمونه القرابين للأنبياء والأولياء فيعدونه كالذبح للأصنام وهذا خطأ فإن النذور يقصد بها الناذر في ثواب المنذور له بأن تصرف على المحاويج ويهدى ثوابها للمنذور له وكذا ما يسمونه القرابين وهذا لا مانع منه وقد دل الشرع على جواز الصدقة عن الميت واهداء الثواب له كما بينا ذلك كله في الحصون المنيعة

وقال الاستاذ العجب الذي ما فوقه العجب ان يقول سيدنا الرسول لزوج البتول ولا تمثالا إلا طمسته ثم يشيد لهدم التماثيل نفسه تمثال في همدان ويكون هو اول تمثال من نوعه رفع في بلاد الإسلام

ليخفف الأستاذ من غلوائه ان هؤلاء الذين ذكرت عنهم بعض الجرائد أنهم اقاموا او عزموا على اقامة تمثال لعلي (ع) (ان صح الخبر ولا نظنه صحيحاً) ليسوا

من الدين في شيء بل من المتمدنين الجدد الذين يرى الاستاذ امثالهم في هذه البلاد من عهد بعيد قبل ظهورهم في ايران والعجب الذي ما فوقه عجب أن يقول الاستاذ أنه اول تمثال من نوعه رفع في بلاد الإسلام وهو يعلم ان تمثال محمد علي باشا وولده ابراهيم باشا قد رفعا قبله في مصر التي هي عن اعظم بلاد الإسلام واليها الهجرة العلمية من سائر اقطار البلاد الإسلامية ولا يزال التمثالان قائمين ماثلين فيها إلى اليوم ولعل الاستاذ يعتذر ويقول إنهما ليسا من نوع تمثال علي الذي هو خليفة من خلفاء المسلمين فيقال له تحريم التماثيل لا يختص بتماثيل خلفاء المسلمين وليس الخليفة هو الذي صنع التمثال وإنما صنعه الجهال وما ندري لم لم يتعجب الاستاذ من خروج النساء بالحالة التي يعلمها ومن التجاهر بالمنكرات والموبقات الذي يزيد آنا فآنا وحصر تعجبه في أمر إن صح أنه واقع ففاعله امثال هؤلاء.

قال الاستاذ افبعد تلك الدمدمة التي انبعثت من نجد فارتجت لها الأقطار الخ يصلح لعالم مسلم فطن لقن أن يباهي بالمزارات ويلهو عن شقاء الأحياء بسعادة الأموات ويدع التفكر في ملافاة ما يتوقع من الشرور والآفات الخ

نحن لا ندري ما علاقة الدمدمة التي انبعثت من نجد بهذا الموضوع ولا ندري كيف تكون المباهاة بالمزارات ملهية عن شقاء الاحياء وعن التفكر في ملافاة ما يتوقع من الشرور والآفات وما هو مقدار استطاعة صاحب العرفان وغيره لملافاة تلك الشرور وما هو القدر الذي تلافاه الاستاذ من تلك الشرور المتوقعة بسبب عدم مباهاته بالمزارات

وبالختام نسدي الاستاذ شكرنا وثناءنا ونرجوه ان لا يحمل كلامنا على غير ارادة بيان الحقيقة وحسبنا حكما انصاف الاستاذ وامثاله من اهل الانصاف فإنا بحريتهم نستنجد وعلى انصافهم نعتمد

دمشق الأمين

براءة ملك الحجاز السابق

جاءنا من مكاتبنا في جاوى مقال ضاف نلخصه بما يلي لكثرة ما كتب في هذا الشأن

قدم لمقاله مقدمة حسنة قائلا إن الملوك يوجدون المحاكم في ممالكهم لإقامة قسطاس الحق والعدل بينا جنودهم تسلب وتنهب وتعمل الاعمال الفظيعة ولا من رقيب غير الله سبحانه وتطرق إلى ما يرمون به الحسين بن علي من شق عصا الطاعة على الأتراك مع أنه صبر كثيرا حتى اصبح اغنياء مكة فضلا عن فقرائهم بحالة يرثى لها من الفقر فما ذا عساه يصنع آنئذ ومن غيره من ملوك العرب توصل لمحالفة الدول العظمى ورفع صوته عاليا وقد آخذوه بأخذ جنيهين عن كل حاج ونسوا تلك المظالم التي كان يرهق بها الحجاج في عهد الأتراك لكن الغرض مرض والتاريخ كفيل بتمحيص الحقائق وتسجيل السيئات والحسنات

رد على انتقاد الحلبي
كتاب العتب الجميل *

قد اطلعنا على الجزء الخامس من مجلة المكتبة لصاحبها الشاب الفاضل عبد العزيز البابي الحلبي فرأينا فيه كثيرا من الغلط والشطط ولو لا أنا رجحنا أن هناك غرضا لايستحسن حمله على نقد كتاب العتب الجميل تصنيف السيد محمد بن عقيل لمررنا بما كتبه كراما وقلنا له كما قلنا لمن تطاول ولغط سلاما سلاما ولكنا احببنا ان ننبه ذلك الفاضل الى نموذج من غلطه فإن ارعوى وشكر زدناه وإن كابر وجاحد اهملناه فنقول : قال الحلبي اصلحنا الله واياه ص ١٤٢ إن غرضه (يعني ابن عقيل من محتوياتها (اي تلك المجموعة) الرد على من قال بتعديل الناصبي غالبا وجرح الشيعي مطلقا اه . ونقول قد أخطأ الحلبي فيما زعمه فإن مصنف ذلك الكتاب قال فيه مانصه ص٦ وما قصدي إلا تنبيه الغافل وتذكير العاقل الخ اه وصريح قول المرء عما يريده اصدق من تكهن غيره عليه وأما رد ابن عقيل لبعض اقوال العلماء فذلك سنن لاحب قد سلكه الناس من قبل وما أحسن مناقشته

* هو كتاب جليل في الجرح والتعديل للسيد محمد بن عقيل ولم يهد الينا لنكتب عنه بل رأيناه صدفة

للإمام الحجة ابن حجر العسقلاني رحمه الله فقد بين ما رأى انه غلط فيه بأدب فائق نعم انه اعرض عن مفتريات بعض النواصب المنتسبين إلى السنة زورا وحري بمن يرقب محمدا في اهل بيته ان لايتخذ او لئك ادلة ولا أئمة . قال الحلبي : ومن يقرأ هذا الرد من اوله إلى آخره يخرج منه خالي الذهن من كل حقيقة علمية تندرج تحت الموضوع إذ لم يحم حول بيان فساد قضيتي تعديل الناصبي في الغالب وجرح الشيعي مطلقا الخ ونقول وهذا ايضا غلط فاحش وتحامل ظاهر مكشوف والكتاب حاو لكل ما اراده واضعه ولكثير من نفائس الفوائد وفاضح للذين قالوا بتعديل النواصب غالبا مع وجود النص على نفاقهم وجرح الشيعي مطلقا مع ان الإيمان لا يكمل إلا بما عدوه تشيعا ولولا تألم ضمير من اشرب قلبه النصب من تلك الحجج القاطعة لما اكثروا العويل والمغالطة والتعبير في وجهها ولكن هذا شأن كل من قامت عليه الحجة وسدت في وجهه ابواب المحجة وانكشفت له عواره من اهل الحماقة والتقليد فقد اخبرنا ربنا جل شأنه عن اخوانهم بقوله (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) الآية

قال الحلبي في ص١٤٢ وهو يعني مؤلف كتاب العتب : بل بالعكس قد قام لهم حجة لهم من نفس المصنف وهو علوي اه ونقول ربنا يزيدهم من تلك الحجج التي امضتهم وليتك يا سليل ابن الشحنة العلوي كنت احداها فإنك تكون حينئذ قرة عين لعلي وذريته ولأخيه حتى لو كنت زدت في حبهم وبغض عدوهم وتحقيره على ما رسمه مصنف كتاب العتب فإن ذلك خير لك من أن تكون خادما لأعدائهم يناضل عنهم بالكذب والبهتان ويصد عن نصر الحق وأهله ليت شعري اي حجة لهم في جرحهم جعفر الصادق والحسن بن زيد والحسن بن محمد ووو وفي تعديلهم سادتك خالد القسري والجوزجاني وحريز بن عثمان ووو مما اورد نموذجا منه مصنف كتاب العتب

واما ما قاله مصنف كتاب العتب في معاوية وعمرو وسمرة مما تألمت منه فله في اخي نبيه اسوة حسنة وله في (وأدر الحق معه) وانهما لن يفترقا . حجة لا شك في سعادة المتمسك بها . ويكفي خزيا لمن ينبو ذوقه ويستنكف عن ذلك انه يرى نفسه اعلم بدين الله وبأولئك الطغاة ممن عاشرهم وعاشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المعاشرة التي لم يشاركه غيره فيها حتى شهد له بأنه اعلم اصحابه واحلمهم ووو ويظن انه اتقى لله واورع منه او يكون ممن يماري في المحقق المقطوع به ومن كان كذلك لا يستحق المكالمة

قال الحلبي : وكيف خفي على المصنف أن المراد بالشيعة إنما هم الذين غلوا في حب علي حتى اعتدوا حدود الله بسب المؤمنين من الصحابة وادعاء نبوة علي او الوهيته : اه ونقول هكذا تكون المغالطة . إن مصنف كتاب العتب قد اورد نموذجا صالحا ممن جرحوه لتشيعه ويوجد في كتب الرجال جرح عدد ضخم من خيار الشيعة المرضية عليهم الرضوان فهل يقول الحلبي إنهم كفار قائلون بنبوة علي او الوهيته والذين حصر الحلبي فيهم الحكم بالتوهين هم كفار لا شيعة وقد صرح بهذا مصنف كتاب العتب في الصفحة ٢٠ منه ولكن غفل عنه الحلبي ...

ولا نحب اطالة الكلام بذكر الناصبة في مقابلة ذكر الشيعة ونكتفي بما قد اوضحه صاحب كتاب العتب فليراجع . ومما اشد قبح وبشاعة قوله في ص ١٤٣ بعد ذكره سيده الوليد بن عقبة مع غيره من الفجار مالفظه : فهؤلاء لايقول بجرحهم مسلم : وما ادري متى نسخ قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق الآية وقوله تعالى : افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون : وقد صح وثبت أن الفاسق المنصوص هنا على فسقه هو الوليد بن عقبة

سيد حلبينا الغيور وإمامه يوم يدعى كل اناس بإمامهم وان من ذكرهم معه لشرمنه

واما استغربه الحلبي المصقع من تفسير كلام ابن حجر فهو المفهوم الصريح الذي لا يحتمل كلام ابن حجر غيره ولا عبرة بالمجاحدة الواضحة ٠ وقد اطربنا ذكره في ص ١٤٣ من اللحن الفاضح فهل رأى مثله في المطبوعات غلطا مطبعيا الغلط المطبعي كثير من ذلك الكتاب او يجوز أن يكون ذلك سبق قلم او يراه غنيمة باردة ساقها القدر اليه فانثلج لها فؤاده ولا يهمنا أي ذلك كان ٠

ولا حاجة إلى الاطالة برد الترهات الواضحة البطلان ٠

وما ذكره الحلبي في ص ١٤٥ عن صاحب المطبعة وعدم ذكر اسم مطبعته فيجوز ان يكون هو الواقع او ما يقاربه وكيف ننكر ذلك وهذه مجلته محشوة بمدح كلاب النار واذنابهم ومن احب شيئا اكثر من ذكره ٠

استطراد وتنبيه ٠ من قرأ ما قاله هذا الحلبي في كتاب العتب الجميل ثم قارنه بما قاله في ذلك الجزء من تلك المجلة في ص ١٣٠ منها وما بعدها مدحا في كتاب اخبار ابي نواس واقرار ما قاله ناشره فيه أنه : يسعد الاديب بالحكمة وفصل الخطاب : ووصفه كتب الخلاعة والمجون بانها الكتب القيمة واعتذاره عن ايراد السخافات المسممة لعقول الناشئة والنساء بالتنظير بما في كتب اللغة — وذلك من المغالطة الواضحة — حتى زعم انه لا يتم للاديب ادبه الا بروايتها وانشادها كما في ص ١٣٢ من عرف هذا رجح ما قلناه في صدر هذه المقالة فيالله وللمسلمين اللهم اننا نبرأ اليك من ادب ركنه المجون والسفه وبذيء الكلام ومستقذره كما نبرأ اليك من موالاة الناصبة ونصرهم ثم ما كفى هذا الحلبي ما قاله من الترهات حتى زعم أن علماءه قد اثبتوا في كثير من الاحاديث الصحيحة امثال تلك المفردات المستبشعات المستهجنات التي لو قلنا للحلبي ان احد سادته اللوردات قام خطيبا في احد مجالس قومه بمثلها لبادر إلى التكذيب فيا للخزي ويا للعار ٠ اما نحن فنقطع بأن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اشد الناس حياء واطهرهم لسانا وابعدهم عن الخناء والسخف ولقد كان اشد حياء من العذراء في خدرها نفسي له الفداء كيف وهو الذي لم يقدر أن يقول للانصارية السائلة له عن بعض امور النساء اتبعي بفرصة المسك اثر الدم : بل قال لها : تطهري بها : حاشاه أن يفوه بشيء من خبيث الألفاظ التي يتلمظ بها السكارى من اهل الخلاعة والمجون وإننا لنقطع ان ما جاء منها معزوا إلى جنابه وحاشاه منه

إنما هو كذب وزور كله روجه : تعديلهم الناصبي غالبا : وهو منافق قطعا يكيد للإسلام ولبنيه وناصريه ويدس الدسائس وإنما يمدح كتب الخلاعة من طبعت ذاته على حبها والتلذذ بفعلها وذكرها ورب خليع منعه جبنه اومركزه عن اظهار قرة عينه ومنى قلبه ولكن ذلك يظهر من فلتات لسانه وسنان قلمه كما انـه لا ينافح عن النواصب اعداء الله ورسوله واهل البيت إلا من هو منهم :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى عن الناس تعلم

ولو عقـل مادح المجون لقال ما قاله بعض حكماء العصر من انه يجب على من يطالع في بعض كتب اهل القرون الوسطى أن يرفع ثيابه لئلا يعلق بها شيء من تلك القاذورات او ما هذا معناه ويا ليت الحلبي حين استلذ التلمظ بقاذورات المجون استترو حين آله فضح الناصبة محبوبي فؤاده سكت وقبـل الختام نقدم تعزيتنا لمصنف كتاب العتب الجميل فيما يناله من نباح اجراء كلاب النار عليه وثلبهم عرضه وله اسوة في جده الذي وقف حياته على الذب عنه فقد لعنه الذين يترضى عنهم هؤلاء الناقمون عليه حتى فوق ذروة منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسمعوه لعن اخيه وصنوه وصفوته وحبيبه تشفيا منه وحقدا عليه وقدلايكون لبعضهم غرض في ذم المصنف غير غرض أئمتهم في لعن إمامه وذمه .

وهذا هو الوقت الذي يكون فيه المتمسك بدينه كالقابض على الجمر والذي يعطى العامل فيه اجر خمسين من الصحابة لكثرة ما ينهال عليه من المصائب التي من اخفها الذم والتكذيب والبهت ولله در القائل

حب علي كله ضرب
يرجف من تذكاره القلب

وانا نقول له : واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الأمور : وفي الختام نسأل الله أن يحشر كلامنا مع من يناضل عنهم ويغضب لهم آمين

ويرحم الله عبدا قال آمينا

اقتراح

نقترح على الأدباء تشطير هذين البيتين وهما لأحد مشاهير شعراء جبل عامل المعممين وللمجيد جائزة حسنة تسره وهما

وعالم همه الدنيا وزخرفها
ولم يكن عاملا بالعلم والدين
فإنما هو شيطان وعمته
حبالة الصيد من مال المساكين

النسمات والنفحات

نذكر في هذا الباب ما يقع عليه النظر من ارق الشعر القديم والحديث وانقاه ديباجة ليكون به جمام النفس ، واستجلاب الأريحية والأنس

قال حطان بن المعلى من شعراء الحماسة

أنزلني الدهر على حكمه
من شامخ عال إلى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى
فليس لي مال سوى عرضي
أبكانيَ الدهر ويا ربما
أضحكني الدهر بما يرضي
لو لا بنيات كزغب القطا
رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني من الغمض

وقال رجل من بني أسد

وما أنا بالنكس الدني ولا الذي
إذا صدّ عني ذو المودة أحرب
ولكنني إن دام دمت وإن يكن
له مذهب عني فلي عنه مذهب
ألا إن خير الود ودٌّ تطوعت
له النفس لا ودٌّ أتى وهو متعب

وقال شاعر جاهلي

إن يحسدوني فإني غير لائمهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم
لا أرتقي صدرا منها ولا أرد

وقال المؤمل المحاربي

وكم من لئيم ودّ أني شتمته
وإن كان شتمي فيه صاب وعلقم
وللكف عن شتم اللئيم تكرما
أضرّ له من شتمه حين يشتم

وقال ابو صخر الهذلي

أما والذي أبكي وأضحك والذي
أمات واحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى
أليفين منها لا يروعها الذعر
فياحبها زدني جوى كل ليلة
ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وقال شاعر حماسي

تشكى المحبون الصبابة ليتني
تحملت مايلقون من بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذة الحب كلها
فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

وقال ابو دهبل الجمحي

أأترك ليلى ليس بيني وبينها
سوى ليلة إني إذاً لصبور
عفا الله عن ليلى الغداة فإنها
إذا وليت حكما عليّ تجور

وقال ابو بكر الزهري

ولما نزلنا منزلا طله الندى
أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجدّ لنا طيب المكان وحسنه
منى فتمنينا فكنت الأمانيا

وقال شاعر حماسي شاعر

هل الحب إلا زفرة بعد زفرة
وحر على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين يا ميُّ كلما
بدا علم من ارضكم لم يكن يبدو

وقال المتنبي

كتمت حبك حتى منك تكرمة
ثم استوى فيك إسراري واعلاني
كأنه زاد حتى فاض عن جسدي
فصار سقمي به في جسم كتماني

وقال البحتري

أحنو إليك وفي فؤادي لوعة
وأصد عنك ووجه ودي مقبل
وإذا هممت بوصل غيرك ردني
وله اليك وشافع لك أول
وأعز ثم أذل ذلة عاشق
والحب فيه تعزز وتذلل

وقال الشريف الرضي

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه
فيأمن أن يجنى عليه كما يجني
إلى كم تسيء الظن بي متجرما
وأنسب سوء الظن منك إلى الضن
ووالله لا أحببت غيرك واحدا
ألية بر لا تخاف فتستثني
فإن لم تكن عندي كسمعي وناظري
فلا نظرت عيني ولا سمعت اذني
وأنك أحلى في جفوني من الكرى
وأعذب طعما في فؤادي من الأمن

وقال ابن سنان الخفاجي

بقيت وقد شطت بكم غربة النوى
وما كنت أخشى أنني بعدكم أبقى
وعلمتموني كيف اصبر عنكم
وأطلب من رق الغرام بكم عتقا
فما قلت يوما للبكاء عليكم
رويدا ولا للشوق بعدكم رفقا
وما الحب إلا أن أعدّ قبيحكم
إليّ جميلا والقلى منكم عشقا

وقال الأبيوردي

وهيفاء لا أصغى إلى من يلومني
عليها ويغريني بها أن أعيبها
أميل بإحدى مقلتي إذا بدت
إليها وبالأخرى أراعي رقيبها
وقد غفل الواشي ولم يدر أنني
أخذت لعيني من سليمى نصيبها

وقال مهيار الديلمي

ما زلت للأضداد جامعة
حتى جمعت الجود والحسنا
شتان صدك بين اظهرنا
بنى ووصلك في لوى الدهنا
يا ليلة للبدر منتها
والشمس لو قد أبطأت عنا
كان افتراقهما تجمعنا
حتى إذا اجتمعا تفرقنا

وقال اسماعيل باشا صبري

أقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة
ولا بشافعة في رد ما كانا
سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا
حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا
هلا أخذت لهذا اليوم أهبته
من قبل أن تصبح الأشواق اشجانا
لهفي عليك قضيت العمر مقتحماً
في الوصل نارا وفي الهجران نيرانا

وقال الشيخ عبد المحسن الكاظمي من قصيدة

سيروا نذب عن الحمى
ونرد عنه المستبدا
نحمي حمى اوطاننا
ونصونها غورا ونجدا
ونرد عنها من عدا
ظلما عليها أو تعدى
سيروا نؤلف شملها
ونعيدها عقدا فعقدا
إن كان حرب فابتنوا
لي في بطون الطير لحدا
أو كان سلم فاجعلوا
ذاك الثرى عينا وخدا
تالله لا أرضى الحيا
ة أرى لديها الخسف وردا
أيروق لي عيش أرى
فيه الكريم الحر عبدا
وإذا نظرت إلى الهوا
ن رأيت طعم الموت شهدا
إن لم تكن تجدي الحيا
ة بعزها فالموت اجدى

وقال حافظ ابراهيم من قصيدة

قم يا ابن مصر فأنت حر واستعد
مجد الجدود ولا تعد لمراح
شمر وكافح في الحياة فهذه
دنياك دار تناحر وكفاح

في البحـــر لا تثنيك نار بوارج
في البر لا يلويك غاب رمــاح
وانظر إلى الغربي كيف سمت به
بين الشعوب طبيعة الكداح
والله ما بلغت بنو الغرب المـنى
إلا بنيات هناك صحاح
وإذا رزقت رياسة فانسج لها
بردين من حزم ومــن إسجاح
واشرب من المــاء القراح منعما
فلكم وردت الماء غير قراح

وقال ولي الدين يكن

بين صدق النهى وكذب الأماني
وقف الرأي والهـوى ينظران
للهوى جرأة وللرأي حكم
والـبرايا لديهما شيعتان
أيها الشرق كيف حالك فينا
ينجلي نازل فيغشاك ثان
هدمتك الخطوب صرحا فصرحا
قوضت من علاك شم المباني
يظلم الناس بعضهم منذ كانوا
طـال ظلم الإنسان للإنسان
وإذا كان في الحياة قليل
من نعيم فـذاك للتيجان

وقال

لو لم تكن تشتاقني نفسها
يا طيفها ما كنت بالمقبل
عيناك عيناها كذا كانتا
والوجه ذاك الوجه لم يبدل
أعرف لحظيها برغم النوى
فكم أصابا قبل ذا مقتلي
يظل قلبي خافقا هكذا
كأنه القمي في مرجل
جسي بهذا الكف صدري تري
ما فيه من نار جوى موغل
أظلني هم فلم أنتبـه
إلا وقد أوغلت في المجهل
إن كان هذا ما دعوه الهوى
فمثل هذا الليل لا ينجلي
يا مهجتي يا جلدي يا صبا
إن لم أمت وجدا فلا بد لي

وقال وما أبدع ما قال

لا تنكري نظرات عيني خلسة
الله قـد خلق العيـون لتنظرا
وقفت عليك فما انثنت عن منظر
فتنت بـه إلا لتطلب منظرا
أرسلت طيفك في المنام يزورني
فدنا وولى وهو يعثر بالكرى
لا يعذلوني في غرامك ضلـة
من هام فيك فحقـه أن يعذرا
قلـبي يحس وهـذه عيني ترى
ما حيلتي فيما يحس ومـا يرى
إن تصبري عني فقلبك هكذا
أما أنا فـأخاف أن لا أصـبرا

وقال

أيها القلب لست تقبل نصحاً
فتجرع هذا الذي تبتغيه
كيف تشكو الهوى ولا تتقيه
والذي يشتكي الهوى يتقيه
كنت طفلا فيه وما زلت طفلا
وبنوه شابوا ونسل بنيه
الهوى آية وأنت كتاب
وأنا كاتب فمن موحيه

وقال في حسناء

كأنها من شعاع النفس قد خلقت
فليس يدركها نقص ولا دنس
تزكو شمائلها في روح عاشقها
كما زكا بأريج الوردة النفس

وقال مخاطبا القمر

بالله يا مصباح بيت الدجى
ويا انيس المعشر الساهدين
حدث بوجدي كل اهل الهوى
واقرأ تحياتي على العاشقين

وقال

أسيدتي هل تعرفين مرادي
فهذا فؤادي يافداك فؤادي
خذيه وإن شئت اقرأيه فإنني
كتبت بروحي فيه آي ودادي
أعيذك أن تجني بقتلي جناية
فيشكوك بعدي أمتي وبلادي

ترفعت عن هذا الهوى في شبيبتي
وها أنا اعطيه لديك قيادي

وقال بدوي الجبل

أقبل الليل فقومي وانشري
فوق هذا الروض من وجهك نورا
واقطفي لي وردة قبلها
لؤلؤ الصبح نظيما ونثيرا
واملأي كأسك لي من ريقة
تسكر الأرواح طيبا وعبيرا
ورد خديك نضير مستح
فدعيني ألثم الورد النضيرا
طهر الحب فؤادي فغدا
كفؤاد الطفل يا مي طهورا
ملأ النفس شعورا بالأسى
والأسى يخلق في النفس الشعورا

وقال

أطيعه وهو يرميني بمعصية
لاسلم الله نفسي يوم أعصيه
كأن لؤلؤ شعري حين انظمه
من لؤلؤ صانه الرحمان في فيه
كأن حظي شعر راح يسدله
على مناكبه زهوا ويرخيه

وقال

وأرى الفتى في الشرق يخدم قومه
بحسامه المصقول أو بذكائه
وإذا ألم العار بابن نجيبة
يأبى فيغسل عاره بدمائه

وقال

يا بلادي لاتنكريني فعندي
لك حب مخلد يا بلادي
لست ذا عدة ولا ذا عديد
قلمي كل عدتي في جهادي
أنت في يقظتي حديثي واشعا
ري وأنت الأحلام عند رقادي
ما تغزلت في سعاد وهند
أنت هندي وزينبي وسعادي

وقال

لإله الهوى صلاتي ونسكي
وحوالي بيت الغرام طوافي
هيكل الحب طاف فيه جدودي
وجثت تحت ركنه اسلافي
أنا راض بنظرة أو بوعد
منك للعلة المكينة شاف
وعديني ولا تبري فحسبي
من نعيم الحياة أن تعديني

وقال وقد ارسلها لصاحب العرفان في عيد النحر ولم تنشر في ديوانه

تهنأ بعيد الفطر واسلم لأمة
انار لها المنهاج «عرفان» «احمد»
ودم بهجة الأعياد بشرا وغبطة
وخذ من نعيم العيش ماشئت وازدد
اري ان يوم النحر لاح صباحه
فكبر على باغ من القوم معتد
ومـا طربي إلا لنحر مبـارك
تحز به بيض الطـلى بالمهنـد

وقال خليل بك مطران في ختام قصيدته (بزر جمهر)

ناداهم الجلاد هل من شافع
لبزر جمهر قال كل لا لا
وادار كسرى في الجماعة طرفه
فرأى فتاة كالصباح جمالا
تسبي محاسنها القلوب وتنثني
عنها عيون الناظرين كلالا
باد محياها فأين قناعها
وعلام شاءت أن يزول فزالا
لا عار عندهم كخلع نسائهم
أستارهن ولو فعلن ثكالى
فأشار كسرى أن يرى في أمرها
فمضى الرسول إلى الفتاة وقالا
مولاي يعجب كيف لم تتقنعي
قالت له أتعجبا وسؤالا
أنظر وقد قتل الحكيم فهل ترى
إلا رسوماً حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له
مات النصيح وعشت انعم بالا
وبقيت وحدك بعده رجلا فسد
وارع النساء ودبر الاطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها
لو أن في هذي الجموع رجالا

نوادر وحواضر

نضع في هذا الباب كل ما يقع عليه النظر من النوادر المستظرفة والحواضر المستملحة ويرى (القارئ) نكات عصرية لطيفة تسر الخاطر

اعضاء الإنسان آلات

قال بعضهم : يد الإنسان ملزمة ، وعيونه نظارات ، واسنانه مناشير وطواحين ، ودماغه قبو معقود ، وساقه عكاز ، ومعدته معمل كيماوي ، ورئته منفخ ، وعروقه أنابيب ، واعصابه سلك تلغراف ، وذقنه فورشه

المعتصم والفتح

ركب المعتصم إلى خاقان يعوده وكان ولده الفتح بن خاقان صبيا فقال له المعتصم أيهما أحسن دار أمير المؤمنين أم دار أبيك قال إذا كان امير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن فأراه المعتصم فص خاتم في يده وقال يا فتح هل رأيت فصا أحسن من هذا قال نعم اليد التي هو فيها

الاربعاء وشم الهوا.

قال رجل لرفيقه هيا نشم الهواء. قال هذا نهار اربعاء منحوس فقال له ولد فيه يونس بن متى قال نعم وابتلعه الحوت فقال نصر فيه رسول الله يوم الأحزاب قال بعد أن بلغت القلوب الحناجر

اللحن في الكلام

التقى عمر بن الخطاب بحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما فقال له عمر كيف اصبحت يا حذيفة فقال أصبحت أحب الفتنة واكره الحق واصلي بلا وضوء ولي بالأرض ما ليس لله في السماء فغضب عمر من ذلك فقال له علي عليه السلام صدق يا عمر يحب الفتنة يعني المال والبنون لقوله تعالى إنما اموالكم واولادكم فتنة ويكره الحق يعني الموت ويصلي بلا وضوء أي أنه يصلي على النبي في كل وقت وله في الأرض ما ليس لله في السماء فإن له زوجة واولادا وليس لله ذلك فقال اصبت يا أبا الحسن

ماذا تذم منها

سمع رجل آخر يذم الزبدة فقال له ما الذي تذمه منها ؟ سواد لونها أم بشاعة طعمها أم خشونة ملمسها

سيدي وسيدنا

كان سيف الدولة يخاطب بكلمة (يا سيدنا) فخاطبه رجل قائلا يا سيدي فقال له إن سمحت بأن اكون سيدك فلا

تبخل بأن أكون سيد غيرك

ام حاتم

كانت غنية بنت عفيف أم حاتم من أسخى النساء وأقراهن للضيف وكانت لا تليق شيئاً تملكه فلما رأى اخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها فمكثت دهراً لا تصل إلى شيء ولا يدفع إليها شيء من مالها حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها فقالت لها دونك هذه الصرمة فخذيها فقد والله مسني من ألم الجوع ما آليت معه أن لا أمنع الدهر سائلاً شيئاً ثم انشأت تقول

لعمري لقدماً عضني الجوع عضة
فآليت أن لا امنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني
فإن أنت لم تفعل فعضّ الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم
سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة
فكيف بتركي يا ابن أمّ الطبائعا

نصف دار

بنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوماً قد عولت على بيع النصف الذي لي وأشتري به النصف الآخر لتكمل لي الدار كلها

طفيلي

قيل لطفيلي أي سورة تعجبك في القرآن قال المائدة قيل فأي آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين

الولد والجنازة

مرت جنازة يوماً ومع احد الطفيليين ابنه ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابن الطفيلي لأبيه يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون

المؤذن والقاضي

شوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الأذان فقال سلوا القاضي فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفتراً وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن

سائل ومسؤول

وقف سائل على باب فقالوا يفتح الله عليك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت او لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم هاهنا قوموا واسألوا فأنتم احق مني بالسؤال

أهم الأخبار والآراء

ننشر في هذا الباب الأخبار المهمة التي يحتاج الكلام فيها إلى إسهاب

سورية والعميد

انقضت الحرب العالمية الكبرى ولكل قوم من الأقوام أمـل في الاستقلال ، ورجاء في الحصول على الرغائب والآمال وقد افلح من افلح وخاب من خاب والعرب مع ما بذلوا في سبيل قضيتهم من الجهاد والجهود ومع ما ضحوا من النفوس البريئة الطاهرة لم تفلح قضيتهم ولم يقطع سلاحهم

كل سلاح قدغدا ذائدا

عن حقه إلا سلاح العرب

وقد كان للعرب آمال جسام في الحلفاء لم تلبث عشية أو ضحاها حتى خابت

وكان من نصيب سورية الاحتلال الفرنسي الذي لم يرق جل السوريين لمارأوه من التحيز لفريق دون فريق ولسيادة روح التفريق التي نفخها اولو الطيالسة السود ومن لف لفهم ولانبالغ إذاقلنا إن الساخطين كانوا تسعين بالمائة ولسنا بحاجة إلى تفصيل تلك السياسة ولانقول الرشيدة لأن صداها مازال يرن في الآذان ولم تزل آثارها في كل مكان

ولما اعتلت منصة الوزارة فئة الأحرار وتولى دفة رئاستها الموسيو هريو انتعشت آمال السوريين بعض الإنتعاش ، لعلمهم أنه سيصيبهم من شؤبوب حريتها رشاش وأخذوا ينتظرون وما اصعب الانتظار ولما عيل صبرهم فوجئوا بنبأ سار وهو نبأ تعيين الجنرال ساراي أو العميد سرايل مفوضا ساميا لسورية وامتدت الأيام فما وصل العميد إلا في الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٥ فأقيمت له المهرجانات الباهرة ، والزينات الفاخرة ، واستقبل بالبشر والترحاب إلا من بعض الناس الذين اشاحوا بوجههم عنه لأنهم لا يحبون أن يقام للعـدل قسطاس ولا للحق ميزان فدخل بيروت معوذا بالله من شر الباغين والحاسدين منشدا مقال الشاعر العربي

إذا رضيت عني كرام عشيرتي

فما زال غضبانا علي لئامها

دخل وقد شاركت السماء الأرض في الفرح فأسبلت مدامع البهجة والسرور ومما زاد الناس ابتهاجا في هذا القائـد المحنك والعميد الجديد أنه رشقهم باعماله رشقا لكنه رشق لطيف ولا غرو فضرب

الحبيب زبيب أعلن حين وصوله الحاكم السابق للبنان (فاندنبرغ) تنحيه عن منصب الحاكمية وقال للنواب او النوائب الذين اقبلوا للسلام عليه انتخبوا حاكما وطنيا لكن ماذا كان منهم ؟!

فكان ما كان مما لست أذكره

فظن (شرا) ولا تسأل عن الخبر

وشكت له صاحبة المدرسة السورية إقفال مدرستها فأمر بفتحها وما لبث أن حل المجلس اللنيابي الذي عين اكثر اعضائه غورو وترابو وأذن لجريدة المفيد وبريد الشرق بالصدور وعفا عن شهر من مدة تعطيل العرفان واصدر امرا بالعفو عن اربعين مجرما سياسيا ورد إلى بعض القرى بعض ما اخذ من الغرامات ومثل الديموقراطية الصحيحة فكان يتجول في المدينة ماشيا على قدميه وعين يومين في الاسبوع لمقابلة من يريد مقابلته وهرعت الوفود لمقابلته من كل حدب وصوب فكان يقابلها بما فطر عليه من دماثة الأخلاق والبشاشة في وجه زائريه وكان الوفد الدمشقي اكثر الوفود صراحة في مطاليبه الوطنية الحرة التي اعارها جانبا من التفاته وعنايته وخاطب رجال الوفد قائلا يلوح لي انكم تشبهون حزب الشمال في فرنسا وحذا حذو الوفد الدمشقي وفود حمص وحماه وحلب وغيرها وقد زار العميد دمشق فلقي من الحفاوة ما لم يلقه غيره من عظماء الفرنسيين .

لكن هذا الرجل الحر الذي خيل لكثير من الأحرار أن فرنسا الحرة اتت لسورية لما اتى والذي حبب فرنسا لشانئيها والذي جدد أملا ذاويا هذا العميد الجديد الذي اراد اصلاح ما افسد اسلافه لم يرق في عيون فئة من النفعيين همها الاصطياد في الماء العكر وجل آمالها أن يبقى هذا الوطن متخبطا في خلافه واعتسافه سادرا في غلوائه وعدم انصافه

ومن غريب امر هؤلاء أنه عطل جريدة الأوريان لمدة ثلاثة اشهر لنقلها اخبارا تهيج الرأي العام ثم مـا لبث ان اعطى لصاحبها امتيازا بجريدة أخرى فقامت قيامتهم ورفعوا احتجاجاتهم لباريس حتى ان نقابة الصحف هناك احتجت على عمله ونحن مع عدم استحساننا لتوقيف جريدة ما بدون محاكمة نقول لهم لماذا لم تحتجوا على تعطيل ثماني صحف بدون محاكمة في عهد سلفه أليس الغرض مرضا ايها الاخوان

هـذا هو العميد ساراي الذي يؤانس به الناظر اليه الحرية التامة وهو رجل طويل منتصب القامة ممتلئ الجسم تطفح الصحة من وجهه الأحمر حتى كأنك ترى شابا لم يتجاوز الثلاثين من سنيه مع انه ناهز السبعين وليس به من الشيخوخة سوى بياض لمته والا فهو فتي الجسم والصحة

والهمة وشكله أجمل من صورته التي يراها القارئ هنا



هذا مانقوله بشأن العميد متوخين به الحقيقة الصريحة والحرية الصحيحة وقدعلم بنو قومنا و كل من عرفنا أنا ابعد الناس من التزلف للحكام ولاناقة لنا معهولاجمل لأنا لسنا من حزب الحكومةولامن طلاب الوظائف ولا ممن يبتغون مغنما إذ لنا مبدأ وطني عربي لا يحول ولا يزول وهنا لابد لنا من طلب مطالب عامة للبلاد السورية وخاصة للبلاد العاملية التي كانت أقل البلاد حظا في الإصلاح

أما المطالب العامة فهي

١ الوحدة السورية بمعناها الحقيقي

وليست الوحدة المبتورة العرجاء التي اعلنت قبل قدومكم

٢ انتقاء الموظفين من الذين اشتهروا بالمبدء القويم وعدم الانحراف عن الحق واتباع كل ناعق

٣ جعل الانتخاب حرا سالما من التدخل الجلي والخفي وان يكون تصويتا عاماً ليصبح شعبيا خالصاً من الشوائب وإن لم يمكن ان يكون لاطائفيا فإعطاء كل طائفة حقها المشروع

٤ عدم الإصغاء لوشاية الواشين وتجسس المتجسسين وتمزيق تلك الوريقات التي وضعت بها العلامات البيضاء والسوداء فكم وكم من اصحاب النقط السوداء اصح مبدء واكرم اخلاقا وأحسن سيرة من اصحاب النقط البيضاء التي نالوها بطرق سافلة وجاسوسية دنيئة

٥ لا يجعل لبنان الكبير عروسة الشعر فقد قرأنا بالصحف أنه ربما وضع قانون بأن لا يقبل ترشيح احد مالم يقسم اليمين للبنان الكبير بحدوده وهل يقسم الصادق للبنان كبر عنوة وقسرا بدون رضا اهله أوليس معنى ذلك إقصاء كل حر عن النيابة فسلا تهدم ايها العميد ما بنيت

٦ لا تجعل عنوان النيابة والوظيفة إجادة اللغة الفرنسية فكم من الذين يجيدونها لا يعرفون من امور العالم شيئا فالبلاد عربية ولغتها عربية فاجعل لها المرتبة التي تليق بها على أنا لا نريد منك إهمال لغة دولتك وبني قومك وما أحسن الاعتدال في كل الأحوال

٧ إنصاف الصحف وعدم إقفالها إلا بعد المحاكمة وإرجاع التأمين وهو خمسمائة ليرة سورية او رهن عقار يقابل القيمة الذي لم ينفذ إلا في لبنان وقد صدر الأمر باستعادته لكن لم ينفذ ولعلك لا تريد تنفيذه إلا بعد مصادقة المجلس النيابي عليه

هذا بعض ما نريده من المطالب العامة أما المطالب الخاصة لجبل عامل الذي امل من الفرنسيين كل خير فما اصابه إلا الجنف والضير فهي

١ فسخ الشراكة التي عقدت بينه وبين لبنان رغما عنه إما بإلحاقه في الوحدة السورية أو مساواته بالملحق به فليس من العدل ان يكون عليه الغرم ولغيره الغنم

٢ إصلاح طرق داخلية البلاد ووصلها بالطرق المعبدة فإنها محرومة هذه النعمة الجزيلة التي عمت اكثر البلاد السورية وهذه هي العقبة الكأداء التي أخرته ماديا واقتصاديا وجعلته يتخبط في ظلام دامس لا نور فيه

٣ كثرة الضرائب التي اثقلت كاهل الفلاح الذي عليه مدار اقتصاديات هذه البلاد وجعلته يهجر وطنه ويترك ارضه بورا ولا واسطة لذلك إلا أن تبدل طريقة

الأعشار بطريقة احسن منها وتخفض ضريبة الويركو بأن تلغى ضميمة الحرب ٥٦ بالمائة وكانت تتقاضاها الحكومة التركية ورقا تركيا فتعادل المائة قرش ١٥ قرشا ذهبا أما الآن فأصبحت تعادل ثمانين قرشا ذهبا أي اصبحت اكثر من خمسة اضعاف وفي ذلك ما لا يخفى من الغبن الفاحش

٤ العناية بتعميم المعارف فإن الطريقة التي تتمشى عليها نظارة المعارف اليوم عقيمة فأكثر المعلمين غير اكفياء والتعليم غير اجبارى والمدارس قليلة وبما أن البلاد زراعية فمن اللازم ايجاد مدرسة زراعية عملية في وسط البلاد على نحو مدرسة سلمية

٥ اختيار الموظفين الاداريين النزهاء الذين لا تأخذهم بالحق لومة لائم واقصاء الذين نالوا الوظيفة بالتجسس أو بمراعاة الخاطر

٦ تعزيز الزراعة والصناعة بإعادة المصرف الزراعي والعناية بإيجاد مدرسة صناعية راقية

٧ رفع سلطة الزعماء الذين يرهقون الفلاح ويحملونه على هجر بلاده اوبيع ارضه وايقاف الفلاح الذي يطمح إلى اختلاس ارض الملاك عند حده

٨ وضع حد لإدارة حصر الدخان فقد تجاوزت الحدود بتضييقها وياحبذا التذرع بإلغائها فهو خير وابقى

هذا ما نبديه الآن لفخامة العميد غير شاكين أنه سينفذ جله إن لم ينفذ كله وعلى الله قصد السبيل

ومن حسنات ساراي اختياره حاكما للبنان الكبير الموسيو كايلا

وهو شاب نشيط متخرج من مدرسة الحقوق عمل عدة أعمال عمرانية حينما كان حاكما لبلاد العلويين وقد بدأت طلائع اعماله في لبنان فهو يجتمع في يوم معين مع ارباب الصحف ويستطلع آراءهم و إن اول ما ننتظره منه العناية بالمطاليب التي طلبناها من العميد والسعي الحثيث وراء تنسيق ذلك الجيش العرمرم من النظار وسائر الموظفين الذين اصبحوا عبأً ثقيلا على كاهل الخزانة اللبنانية وعلى الفلاح المسكين وقد أحسن صنعا بتحويل قرار بناء القصر للحاكم الذي يكلف الحكومة اللبنانية ١٥٠ الف ليرة سورية — إلى بناء فندق فخم يجذب السائحين لبيروت شتاء لما يكون به من معدات الراحة والرفاه واحسن من ذلك توفير هذا المال على صندوق الأمة التي هي الآن بحالة اقتصادية حرجة تحتاج معها إلى تخفيض الضرائب وحبذا تجوله في البلاد ووقوفه على آراء الشعب وحاجياته لا بواسطة الموظفين، والزعماء والمترعمين، بل بواسطة الرجال الصادقين، والأدباء والمفكرين، والتابهين من الزراع والفلاحين، وعساه يضرب على يد كل موظف خائن فتتنفس البلاد على عهده الصعداء، ويبقى له في النفوس عاطفة حب وولاء

خلاصة الأنباء

ننشر في هذا الباب الأنباء الصغيرة وأكثرها مقتبسة عن الجرائد السيارة

٦١ رفض الجنرال سرايل دعوة القس ديبي من قسس الكبوشيين لحضور قداس اعتادهؤلاء الآباء أن يقيموه لكل مفوض جديد وقد اشتكى هذا للقاصد الرسولي الذي رفع الأمر للبابا في رومية

٦٢ أوفدبطريرك الموارنة مطرانا المسلام على حاكم لبنان الجديد فرد الحاكم الزيارة للبطريرك في بكركي

٦٣ بين الوفود الكثيرة التي زارت العميد الجديد الوفد العاملي الذي انقسم إلى ثلاثةوفود لأنه صحبه من يري السيادة بالتفريق على المبدأ القائل (فرق تسد) وكان الوفد الأول مؤلفا من النواب السابقين الثلاثة عن جبل عامل ومن قاضي صيدا وقاضي النبطية ومن الشيخ احمد رضا العالم المعروف والحاج عبدالله يحيى الوجيه الغيور وزاره وفد صيداوي مؤلف من مطران الكاثوليك وقاضي صيدا السني ومفتيها ورئيس بلديتها ومدير مدارس الجمعية المقاصد الخيرية وغيرهم والظاهر أن مطالب الوفود الساحلية ضعيفة نسبة لمطالب وفود الداخلية

٦٤ نعي الينا من الأرجنتين اخ وكيلنا فيها واسمه علي خليل طبوش من قرية كفرملكا في جبل عامل وقد احتفل المهاجرون هناك بدفنه احتفالا شائقا

وتوفي في صيدا الحاج حسن آغا اسماعيل احد الضباط المتقاعدين وقد عرف ايام الأتراك بشجاعته العاملية في المواقع التي حضرها رحمهما الله رحمة واسعة وعزى آلهما وذويهما عن فقدهما

٦٥ كان برد هذا العام شديدا حتى في البلاد الحارة فقد جاءنا من النجف الأشرف أنه نزلت هناك الثلوج حتى غصت بها السطوح وحصل برد شديد في سائر القطر العراقي مما لم يعهده العراقيون من قبل وقد بلغت الحرارة في بعض انحاء سورية ١٠ تحت الصفر وهطلت امطار غزيرة وثلوج كثيرة وتدل الظواهر الجوية على جودة الموسم في جميع الأنحاء لا سيا في جبل عامل والسنة بآذارها غير انه مات كثير من الأغنام مما ادى لغلاء السمن واللحم حتى قيل إنه مات لقبيلة الحديديين في اطراف حماة خمسون الف رأس من الغنم نسأله سبحانه اللطف بعباده

فهرس الجزء الخامس من المجلد العاشر